

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الحياة البرزخية في الإسلام

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد
حسين جابر موسى

إشراف
الدكتور محمد يوسف الشيخ
الأستاذ بقسم الدراسات العليا بالكلية



في سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

شكر وتقدير

الحمد لله على أن وفقني لانهاء هذا البحث ، وهيأ لي الأسباب لتحقيق ذلك ، فهو ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، وبعد فاني أتقدم بالشكر لكافة العاملين في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة ، وأخص بالذكر سعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الدكتور محمد بن سعد الرشيد ، وذلك لما قدموه لنا من مساعدات كان لها اكبر الأثر في انجاز هذا البحث ، واتقدم بالشكر الجزيل كذلك لفضيلة الدكتور الشيخ محمد يوسف الشيخ ، المشرف على رسالتي هذه ، والذي اعطاني من وقته وراحته ونصحه الشيء الكثير ، مما كان له أكبر الأثر في ظهور هذه الرساله على ماهي عليه ، فجزاه الله عنا خير ما يجزى والد عن ولده ، ولا يفوتني ان أشكر كل من كان له اي نصح أو ارشاد أو توجيه لي اثناء البحث ، والله أسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الأمين وصحبه اجمعين .

الفهـرس

====

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ،ومن يضلل فلاهادى له ، وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لاشريك له ،وأشهد ان محمدا عبده ورسوله " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون"(١) ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا "(٢).

" ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ،ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما "(٣).

أما بعد فانا نعيش فى عالم طغت عليه المادة ، وأصبح التفكير فى غيرها يكاد يكون مفقودا ، فأصبحت حياة البشر - الاّ من رحم الله - قائمة على أهداف مادية يفنى الانسان عمره من اجل الحصول عليها ،غير مهتم بجوانب الحياة الروحية والفكرية ، وما يترتب على اللهاث وراء حياة المادة من قتل للنفس والتفكير فى مصير الانسان ، ونهايته التى لامفرّ منها ، وقد حز فى نفسى ان تسيطر المادة على حياة الناس بحيث تستولى على مشاعرهم وتفكيرهم وظللت طوال مدة الدراسة فى السنة المنهجية أفكر فى موضوع له علاقة وطيدة بالحياة الروحية ، فوقع اختيارى على موضوع الحياة البرزخية فى الاسلام ، ذلك اننى رأيت أن الاعتقاد بهذا الموضوع يؤدى الى تغيير جذرى فى سلوك الذين جرفهم تيار المادة ،ويجعلهم يحسّون بأن مايقومون

---

(١) آل عمران : ١٠٢

(٢) النساء : ١

(٣) الاحزاب : ٧٠ ، ٧١

به من أعمال فى حياتهم الدنيا أمر يقرر مصيرهم فى البرزخ اما نعيما الى يوم الدين أوعذابا الى يوم الدين كذلك.

ولقد تضمنت الرسالة تعريفا بالبرزخ وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما البرزخ فقد بينت معنييه : اللغوى والاصطلاحى وصلة المعنيين بعضهما ببعض .

وأما الباب الأول فقد جعلته فى اربعة فصول مهدت لها ببيان أسباب الاختلاف فى الأمور الغيبية التى مردها الى السمع ، وتكلمت فى الفصل الأول عن أدلة المثبتين للحياة القبرية من الكتاب والسنة ومناقشة ادلتهم وثبوت ماذهبوا اليه من وقوع عذاب القبر ونعيمه وأن الايمان به واجب.

وقد أوردت فى الفصل الثانى أدلة النافين للحياة القبرية ، النقلية منها والعقلية ومناقشة تلك الأدله وماذهبوا اليه من نفى للحياة القبرية.

وتكلمت فى الفصل الثالث عن الذين ذهبوا الى تنعيم الروح وتعذيبها دون أن يكون للجسد أى حظ من العذاب أو النعيم ، وأوردت الأدلة التى اعتمد عليها القوم ثم ناقشت هذه الأدلة وبينت بطلانها .

وأما الفصل الرابع فقد عقدته للموازنة بين تصوير المثبتين للحياة القبرية من المعتزلة ،ومسلكهم فى هذا التصوير ، وبين تصوير أهل السنه ومسلكهم فى اثبات هذه الحياة ، واعتمدت فى الموازنة على النظر فى مسلك الفريقين تصويرا واستدلالا ، وأرجو ان أكون قد وفقت فى هذه الموازنة حيث انتى لم اعثر عليها فى كتب العقائد فيما أعلم ، وسيتضح من خلال ذلك أن للمعتزلة تصويرا خاصا ومسلكا خاصا فى تعيين وقت وقوع النعيم أو العذاب فى الحياة البرزخية ، يختلف منهجا وكما وكيفا عن مسلك أهل السنة.

وأما الباب الثانى فقد جعلته فى ثلاثة فصول ، تحدثت فى الفصل الأول عن منكر ونكير ،واقوال العلماء فيهما ، وسبب تسميتهما ، وثبوت سؤالهما للميت، ووصفهما كما جاءت به الاحاديث الصحيحة.

وأما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن لغة سؤال الملكين للميت ، وموضوع سؤالهما ونتيجته ، وقد توصلت الى أن هذه النتيجة مرتبطة ارتباطا وثيقا بما اعتقده الميت في حياته وبقي عليه الى موته.

وأما الفصل الثالث فقد بحثت فيه عن السؤال ، هل هو خاص بهذه الأمة أم أنه لها ولغيرها من الأمم ؟ وعرضت أدلة العلماء في ذلك وقد ترجح لدى من خلال ذلك العرض ومناقشة أدلة الفريقين أن السؤال عام في كل أمة ، ثم بينت اقوال العلماء في سؤال الأطفال ، وبعد عرض ومناقشة أدلتهم ترجح لدى أن الأطفال لا يسألون ، لأنهم لم يبلغوا سن التكليف.

وتناولت بالبحث كذلك الأقوال في سؤال الانبياء ، وبينت انه لا يمكن الجزم بسؤالهم لعدم وجود الدليل على ذلك.

ثم ختمت الفصل ببيان الأمور التي تنجي من عذاب القبر وفتنته ، ومنها : الشهادة ، والمرابطة ، والموت بالطاعون ، والحرق ، والغرق ، وما الى ذلك من الأمور التي ذكرت في الأحاديث الصحيحة التي اوردتها.

وأما الباب الثالث من الرسالة ، فقد جعلته في خمسة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن انواع العذاب والنعيم في القبر ، وفي الفصل الثاني تحدثت عن اسباب عذاب القبر ونعيمه ، وانها عموما الايمان والطاعات ، أو الكفر والمعاصي ، وتحدثت في الفصل الثالث عن دوام العذاب والنعيم أو انقطاعه وتحدثت في الفصل الرابع عن عود الروح الى بدن الميت في قبره ، وختمت هذا الباب بخلاصة الأقوال في الروح.

وأما الخاتمة فقد بينت فيها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث.
وبهذا اكون قد أنهيت موضوع الرسالة التي اتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة بجامعة الملك عبدالعزيز لنيل درجة الماجستير في فرع العقيده ، ولي في الله وطيد أمل أن أكون قد وفيت الموضوع ما هو جدير به من عناية واهتمام ، راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد ، فانه وليّ ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

البرزخ في اللغة:

البرزخ : الحاجز . والحاجز والمسافة متقاربان فى المعنى ، ذلك انك تقول : بينهما حاجزأن يتزاورا ،فتنوى بالحاجز : المسافه البعيدة، وتنوى الأمر المانع ،مثل اليمين والعداوة .

فصار المانع فى المسافة كالمانع فى الحوادث ، فوقع عليها البرزخ . (١)

يريد بذلك ان البرزخ يفيد اول ما يفيد الموانع المعروفه ، كالعداوة تمنع من التزاور واللقاء ، واليمين الا يلتقى بشخص ، هذا هو الظاهر المتبادر من لفظ البرزخ ، الا ان صاحب التعريف جعل من معانيه المسافه ، فانهـا تمنع من اللقاء بين شخصين ، احدهما فى طرف المسافة ،والآخر فى طرفها الآخر ، فانها تمنع من اللقاء بينهما .

فانتهى الى القول بأن البرزخ كما يطلق على الموانع المتبادرة من لفظه، يطلق ايضا على المسافة ، الا أنه هل يبقى اطلاقه عليها حقيقيا أو مجازيا ؟ هذا مالم نتبينه من العبارة . ومثله فى النهاية ، قال صاحب النهاية بناء على ذلك ، ومنه حديث على رضى الله عنه " انه صلى بقوم فأسوى برزخا " اى اسقط فى قراءته من ذلك الموضع الى الموضع الذى كان انتهى اليه من القرآن . (٢)

وقال الراغب الاصفهانى (٣) : وقيل البرزخ : الحاجز والحد بين الشيئين وقيل اصله برزه فعرّب ،

وقال تعالى : " بينهما برزخ لايبغيان " (٤) اى حاجز لايختلطان ، والبرازخ جمع برزخ (٥) . وأما ما قاله الراغب فيبدو أن فيه تقصيرا عن التعريفين السابقين، لأنه فسر البرزخ بالحاجز ،ثم عطف عليه الحد ، ولاشك أن الحد من

---

(١) معانى القرآن للفراء ، مادة برزخ .
(٢) النهاية لابن الأثير ،مادة برزخ .
(٣) هو الحسين بن محمد بن المفضل الاصفهانى المعروف بالراغب،اديب من الحكماء العلماء ، سكن بغداد واشتهر ، حتى كان يقرن بالامام الغزالى . الاعلام للزركلى ج ٢ ص ٢٧٩ .
(٤) الرحمن : ٢٠
(٥) مفردات غريب القرآن للاصفهانى ص ٤٣ .

الحواجز ، فذكره بعده لافائدة فيه ، وقد اهمل ذكر المسافة كمعنى من معاني البرزخ .

واما المراد من البرزخ الذي نتحدث عنه ، وهو ما يكون بعد موت الشخص، فقد فسر بتفسيرات عدة منها : قول الفراء (١) في قوله تعالى :" ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (٢) " .

البرزخ : من يوم يموت الى يوم يبعث (٣) .

وقيل البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، قبل الحشر من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . وقال الكسائي : البرزخ مابين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : هو في برزخ ،لأنه بين الدنيا والآخرة (٤) . ويبدو أن مراده بالبرزخ هو من انتهاء دنيا الشخص ،وذلك بموته الى أن يحشر ويبعث ،فما بين موته وبعثه ، هو برزخه ، هذا ما يفهم من العبارة ، وبهذا التفسير لايكون هناك فرق بين ماقيل اولا وآخرا .

وقال الهروي (٥) : البرزخ . هو القبر (٦) .

وظاهر كلام الهروي أن القبر نفسه هو البرزخ ، وهو معنى فاسد ،لان القبر حسب الظاهر المفهوم انما هو من الدنيا قطعا ، ولعله اراد أن القبر مادفن فيه اولئك الاموات الذين دخلوا في البرزخ ، فلا منافاة بين هذا القول وما سبقه من الأقوال .

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي المعروف بالفراء ، امام الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغه وفنون الأدب . كان يقال : الفراء امير المؤمنين في النحو ، ولد بالكوفه وانتقل الى بغداد ، وعهد اليه المأمون بتربية ابنيه ، فكان اكثر مقامه بها ، ومع تقدمه في اللغه ، كان فقيها متكلما يميل الى الاعتزال . تاريخ بغداد للخطيب ج ١٤ ص ١٤٩

(٢) المؤمنون : ١٠٠ (٣) معاني القرآن للفراء ، مادة برزخ .

(٤) لسان العرب ، مادة برزخ ، وانظر تاج العروس .

(٥) هو احمد بن محمد الهروي البردي الأصلي الهروي الدار والمولد ،الشافعي الواعظ ،ولد سنة ٨٢٩هـ وطاف البلاد واعظا وتكرر قدومه القاهره ،من اهل الأدب والحديث واللغه . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد السخاوي ج ٢ ص ٩٥ .

(٥) كتاب الغريبين على غريب القرآن والحديث للهروي ،مادة برزخ .

وقال قتادة (١) : البرزخ بقية الدنيا (٢) .

وظاهر كلام قتادة أنه جعل الجزء الباقي من الدنيا هو البرزخ ، وليس ذلك بصحيح ، لأن جزء الدنيا دنيا ، ولعله اراد ان برزخ كل شخص يبدأ من موته ، حتى تنتهى الدنيا وتقوم الساعة ، وهو بهذا المعنى مستقيم مع الأقوال السابقة.

وهذه المعانى السابقة كلها ، ينطبق عليها المعنى اللغوى الذى ذكرناه آنفا ، سواء ما قاله الفراء وصاحب النهاية والراغب ، فان الوقت الذى يمر على الشخص بعد موته الى يوم الحشر ، فاصل بين دنياه وآخرته . والله أعلم .

---

(١) قتاده بن دعامه السدوسى البصرى ، حافظ مفسر ضرير اكمه . قال فيه احمد بن حنبل : قتاده احفظ اهل البصره ، وكان مع علمه بالحديث، رأسا فى اللغه ومفرداتها وايام العرب وانسابهم .
الاعلام للزركلى جـ ٦ ص ٢٧

(٢) كتاب الغريبين على غريب القرآن والحديث للهروى ، مادة برزخ .

الباب الأول

المذاهب في عذاب القبر ونعيمه

١- تمهيد : سبب الاختلاف في الأمور الغيبية.

٢- الفصل الأول :

المثبتون لعذاب القبر وأدلتهم ومناقشتها .

٣- الفصل الثاني :

النافون لعذاب القبر ونعيمه وأدلتهم النقلية والعقلية ومناقشتها وابطالها .

٤- الفصل الثالث :

القائلون بتنعيم وتعذيب الارواح دون الاجساد ومناقشة ادلتهم وابطالها .

٥- الفصل الرابع :

تصوير المثبتين لعذاب القبر من المعتزلة.

تمهيد :

لم اختلف الناس فى هذه الامور الغيبية التى مرجعها السمع ؟

ان الأمور الغيبية التى لا يمكن التوصل اليها الا عن طريق السمع ، مردها الى ما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة ، اذ لاسبيل لمعرفتها وما يتعلق بها من امور الا عن طريق المعصوم.

لذلك آمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد عن هذه الأمور من الكتاب والسنة ، ولم يتعرضوا الى الخوض فيها والتكلم عنها بأكثر مما ورد به السمع ، ولم يرد عليهم اى اشكال فى فهمها او تصور فى تناقضها ، اوشبهة فى ثبوتها.

كان لصفاء عقولهم ، وعدم تشوشهم بعقائد وفلسفات الامم المجاورة لهم ، ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وانشغالهم فى الدعوة الى هذا الدين الجديد ، وايصاله الى من حولهم من الناس اكبر الاثر فى ابعادهم عن التفكير فى مثل هذه الامور ، وتركيزهم على ما يتعلق فى امور حياتهم ، وتطبيقهم لمتطلبات دينهم ، وعلاقتهم مع غيرهم.

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، ودخل فى دين الله تعالى اناس من غير العرب ، اقتناعا بهذا الدين ، اوكيدا لاتباعه من الداخل ، أو خوفا على مصالحهم ، وشعورهم بالضعف امام مده العظيم ، لذلك فقد انفتح على المسلمين آفاق جديدة ، وعالم جديد له عقائده وتقاليده ، وما ارتبط بها من امور اعتقادية تناقلها هؤلاء القوم ، وترسبت فى اذهانهم ، فلابد اذن من مناقشتها وابطال زيفها.

وقف المسلمون ازاء هذا الأمر موقفين :

الأول : امتنعوا عن الخوض فى هذه الامور جملة وتفصيلا ، والتزموا بالنصوص فما خالفها اعرضوا عنه ، ووقفوا منه موقفا سلبيا ، وحكموا فيما بينهم ببطلانه.

الثانى : عكفوا على الدراسة والتحليل لما كان عند هؤلاء القوم من عقائد واصدروا الحكم عليها بالصحة والبطلان.

غير ان لهؤلاء الاقوام قضايا دينية وفلسفات معينة ، وكان لهم فى اثبات ذلك مناهج منطقية ومن هنا تأثر بعض علماء المسلمين بذلك ، ولاسيما ذلك المنهج المنطقى الـذى تراه كثيرا فيما كتبه المسلمون . ترى ذلك المنهج فى مؤلفات الغزالى وسائر كتبه ،كما تراه فى كتب المتأخرين ، كالمواقف والمقاصد ،وعلى العموم فقد تأثر هذا الفريق بمنهج أولئك القوم.

فترى المعتزلة وبعض أهل السنة فى العصر الأخير يسلكون فى مناهجهم واستدلالاتهم ، مناهج المنطق الارسطى . اورث كل ذلك عند المعتزلة حرية واسعة فى التفكير عن غيرهم ، فاذا جاء نص من المعصوم لايأخذوه بادئ ذى بدء قضية مسلمة ، بل عرضوا مفهومه على العقل ، فان استساغه احترموا ظاهر النص وآمنوا به ، وان كان مفهومه لايقره العقل ، بل قام عند العقل ماينفيه تأولوا ذلك النص بما لايصطدم مع العقل.

ومن هنا انكر فريق من المعتزلة ظاهر النصوص التى جاءت بالنعيم والعذاب فى القبر ، لأنهم وقد كان لهم حرية فسيحة فى التفكير العقلى ، اباح لهم النظر فى النعيم والعذاب فى القبر نظرة عقلية ، فانساق بهم الأمر الى كثير من الشبهات كما سنرى فى استدلالهم ، ان الميت صار جمادا فكيف ينعم او يعذب ؟ ، فان النعيم ادراك اللذة ، والعذاب ادراك الألم ، وذلك انما يكون مع الحياة ، ولاتتصور الحياة فيمن مات وصار جمادا وعظاما بالية ، وتحول كثير من اجزائه الى تراب ، لأجل ذلك تأولوا تلك النصوص بتأويلاتهم المختلفه.

وبعد هذا العرض المجمل ،رأينا كيف يمكن الاختلاف فى هذه الأمور الغيبية (١) . والله اعلم.

---

(١) انظر الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم جـ ١ ص ٣٢ - ٣٦ ، ومجموعة الفتاوى لابن تيميه جـ ٩ ص ١٨٥ ، ٢٣١ ، ٢٦٦ ، والمرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم لعوض الله حجازى ص ٣٥ ، كل ذلك ملخصا .

الاقوال في عذاب القبر ونعيمه

اختلف الناس في عذاب القبر ونعيمه على ثلاثة أقوال هي :-

١- النافون له ،وهم بعض المعتزله والروافض والخوارج .

٢- المثبتون له ،وهم اكثر اهل الاسلام.

٣- ومنهم من ذهب الى ان الله ينعم الارواح ويؤلمها ،فأما الاجساد التي في قبورهم ، فلايصل ذلك اليها في القبور . (١)

الفصل الأول

المثبتون وأدلتهم:

لقد تظاهرت الدلائل من الكتاب والسنة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه، واجمع عليه اهل السنه.

أ - الادله النقليه من الكتاب :

١- قوله تعالى : " وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ". (٢)

قال الرازي (٣) : في تفسير هذه الآيه : احتج اصحابنا في هذه الآيه على عذاب القبر ، قالوا : الآيه تقتضي عرض النار عليهم غدوا عشيا ،

---

(١) مقالات الاسلاميين للاشعري جـ ٢ ص ١٠٤

(٢) المؤمن : ٤٥ ، ٤٦

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري : فخر الدين الرازي ،الامام المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمعقول ،وعلوم الاوائل . قرشي النسب ، رحل الى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربيه والفارسيه مات سنة ٦٠٦ هـ / الاعلام جـ٧ ص٢٠٣

وليس المراد منه يوم القيامه ،لانه قال : " ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ".

وليس المراد منه ايضا الدنيا ،لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا ، فثبت أن هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامه ، وذلك يدل على عذاب القبر في حق هؤلاء ، واذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم ، لأنه لاقائل بالفرق .(١)

ويؤيد ماقاله الرازى ،ماقاله علماء العقائد ان العقائد الدينيه لاتختلف بين امة واخرى ، انما الذى يختلف العبادات الأخرى ، وهذا واضح لان العقائد لاتختلف بحسب الامم فاذا كان الله واحدا فهذه عقيدة لاتختلف بين الانبياء.

قوله :" سوء العذاب " قيل : الغرق ،وقيل اكل السباع والموت عطشا ، والقتل والصلب على ما روى ابن عباس رضى الله عنهما ،فى حق الذين ارادوا قتل مؤمن آل فرعون حين فرّ منهم وتبعوه ، فقسم منهم اكلته السباع، والقسم الآخر صلبهم فرعون لما عرف انهم لم يقتلوا ذلك المؤمن. وقيل النار ،ولعله اولى .

وقوله :" النار يعرضون عليها " وهو من باب الاستعارة التمثيلية، بتشبيه حالهم بحال متاع يبرز لمن يريد اخذه ، وفى ذلك جعل النار كالطالب الراغب فيهم لشدة استحقاقهم الهلاك.(٢) فان قيل : لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا ، عرض النصائح عليهم في الدنيا ؟ لأن اهل الدنيا اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢٧ ص ٧٣ ، وانظر القرطبى جـ ١٥ ص ٣١٩ ،والمواقف جـ ٨ ص ٣١٧

(٢) روح المعانى جـ ٢٤ ص ٧٣ .

الله ، فقد عرضوا عليهم النار .

الجواب على ذلك : على قول هؤلاء يصير معنى الاية ، الكلمات المذكره لأمر النار ، كانت تعرض عليهم ، وذلك يفضي الى ترك ظاهر اللفظ والعدول الى المجاز ، وهو عدول عن الظاهر بدون دليل فلاصحة له بعد ذلك .(١)

يتضح بعد ذلك انه لاوجه لهذا الاعتراض اصلا ، لأن الآية تتحدث عن احوال موتى آل فرعون ، وليس عن احوالهم فى الحياة الدنيا ، فلاصحة له بعد ذلك مطلقا .

قيل فى هذه الآيه ما يمنع من حمله على عذاب القبر ، وبيانه من وجهين :

الاول : ان ذلك العذاب يجب أن يكون دائما غير منقطع ، وقوله تعالى : " يعرضون عليها غدوا وعشيا " يقتضى الا يحصل ذلك العذاب الا فى هذين الوقتين فقط ، فثبت ان هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر .

الثانى : ان الغداة والعشية ، انما يحصلان فى الدنيا ، اما فى القبر فلا وجود لهما ، فثبت بهذين الوجهين انه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر .

والجواب على ذلك : لم لايجوز ان يكتفى فى القبر بايصال العذاب اليه فى هذين الوقتين ، ثم عند قيام القيامه يلقى فى النار فيدوم عذابه بعد ذلك ؟ .

وايضا لايمتنع ان يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله تعالى : " ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ".(٢)

اما قوله : ليس فى القبر غدوة او عشية ، قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب .(٣)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ٢٤ ص ٢٥ ، انظر تفسير الرازى جـ٢٧ صـ٧٣
(٢) مريم : ٦٣
(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٧ ص ٧٣

ويتضح لنا من خلال ما ذكر ، ان عذاب آل فرعون وعرضهم ، انما هو عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا ما رواه شعبة (١) عن يعلى بن عطاء (٢) قال : سمعت ميمون بن ميسرة يقول : كان ابو هريرة (٣) اذا اصبح ينادى : اصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار . فاذا امسى نادى : امسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع ابا هريره احد الا تعوذ بالله من النار .

وكذلك روى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، ان كان من أهل الجنة فمن اهل الجنة ، وان كان من اهل النار فمن اهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامه" (٤) (٥)

---

(١) هو شعبه بن الحجاج العتكى الازدى مولاهم ، البصرى ، من أئمه رجال الحديث ، حفظا ودرايه وتثبتا . سكن البصره ، وهو اول من فتش عن امر المحدثين ، قال فيه الشافعى : لولا شعبه ما عرف ... الحديث بالعراق . وكان عالما بالأدب والشعر مات سنة ١٦٠هـ/ تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٥٥

(٢) هو يعلى بن عطاء العامرى الليثى تابعى ، اثنى عليه الامام احمد بن حنبل خيرا ، ووثقه يحيى بن معين والنسائى ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال البخارى : مات بواسط سنة ١٢٠ هـ/ تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٤٠٣

(٣) اختلف فى اسمه ، وقيل كان اسمه عبد شمس بن صخر قبل الاسلام ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وكنيته ابو هريره لحمله هره فى كمه ، وهو من الازد الدوسى اليمنى ، اسلم فى السنة السابعة ... للهجرة ، وقد اجمع اهل الحديث على انه اكثر الصحابه حفظا للحديث رضى الله عنه مات سنة ٥٧ هـ / الاصابه فى تمييز الصحابه لأبن حجر ج ٤ ص ٢٠٣

(٤) فتح البارى ج ٣ ص ٢٣١ ، ومسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ٢٠٠

(٥) تفسير القرطبى ج ١٥ ص ٣٢٠ ، وانظر تفسير الرازى ج٢٧ ص ٧٣

وروى عن السدّى انه قال : بلغنى ان ارواح قوم فرعون فى اجواف طير سود تعرض على النار غدوا وعشيا ، حتى تقوم الساعة (١) . وروى عن الأوزاعى مثل ذلك (٢) .

لقد تبين لنا ثبوت دلالة الآية الكريمة على وقوع عذاب القبر ، واستمرار ذلك العذاب ، وانه باق كذلك الى يوم القيامة ، وذلك بما ورد فى حديث ابن عمر المذكور آنفا وغيره من الآثار عن الصحابة والتابعين . والله اعلم.

---

(١) هو عبدالرحمن بن عمرو الاوزاعى ، من قبيلة الاوزاع ، امام الديار الشاميه ، الفقيه الزاهد ، واحد الكتاب المترسلين . ولد فى بعلبك سنة ٨٨ هـ نشأ فى البقاع ، وسكن فى بيروت ،عرض عليه القضاء فامتنع ، مات سنة ١٥٧ هـ / الاعلام جـ ٤ ص ٩٤

(٢) جامع البيان للطبرى جـ ٢٤ ص ٧١ .

٢- كذلك أستدلوا بقوله تعالى : " مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا " (١)

قال الرازى : تمسك اصحابنا فى اثبات عذاب القبر بقوله : " اغرقوا فادخلوا نارا " وذلك من وجهين :

الأول : ان الفاء فى قوله تعالى : " فادخلوا نارا " تدل على أن تلك الحاله حصلت عقيب الاغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخره " والا بطلت دلالة هذه الفاء.

الثانى : انه قال : " فادخلوا " على سبيل الاخبار عن الماضى . وهذا انما يصدق لو وقع ذلك . (٢)

وقال النيسابورى (٣) : وقد يستدل بفاء التعقيب لاسيما وقد دخل على ماض معطوف على مثله ، على اثبات عذاب القبر. (٤)

وقال مقاتل والكلبى (٥) : معناه انهم سيدخلون فى الآخره نارا ، ثم عبر عن المستقبل بالماضى لصحة كونه وصدق الوعد به كقوله : " ونادى اصحاب النار " (٦) " ونادى اصحاب الجنة " (٧) (٨)

---

(١) نوح : ٢٥ (٢) - تفسير الرازى جـ٣٠ ص ١٤٥

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى ، مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات ، اصله من بلدة قم وسكن فى نيسابور من كتبه غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، واوقاف القرآن ، ولب التأويل وشرح الشافعيه ، وكتاب فى الصرف يعرف بشرح النظام / الاعلام جـ ٢ ص ٢٣٤

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ٢٨ ص ٥٩ .

(٥) هو مقاتل بن سليمان البلخى المفسر ، روى عن مجاهد والضحاك ، قال فيه الشافعى : الناس عيال فى التفسير على مقاتل ، وقيل انه كان يكذب ، وقيل غير ذلك مات سنة ١٥٠ هـ / ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى جـ٤ ص ١٧٣

(٦) الاعراف : ٥٠ (٧) الاعراف ٤٤

(٨) تفسير الرازى جـ٣٠ ص ١٤٥

قال الرازى : اعلم ان الذى قالوه ترك للظاهر من غير دليل ، فان قيل انما تركنا هذا الظاهر لدليل وهوان من مات فى الماء . فانا نشاهده هناك ، فكيف يمكن أن يقال انهم فى تلك الساعه : ادخلوا نارا ؟ .

والجواب : هذا الاشكال جاء لاعتقاد ان الانسان هو مجموع هذا الهيكل وهذا خطأ ،لأن الانسان الذى كان موجودا من اول عمره كان صغير الجثه ، ثم ان اجزاءه فى تحلل وذوبان مستمر ومعلوم ان الباقى غير المتبدل ،فهذا الانسان هوعباره عن ذلك الشيء الذى هو باق من اول عمره الى الآن ، فلم لايجوز ان يقال انه وان بقيت هذه الجثه فى الماء ، الا ان الله تعالى نقل تلك الاجزاء الاصليه الباقيه التى كان الانسان المعين عباره عنها الى النار والعذاب ؟ (١)

نقول : هذا الجواب من الرازى غير مستقيم من وجوه :

أولها : دعوى ان هناك اجزاء اصليه باقيه فى الجسم لاتتغير هذا يحتاج الى دليل.

الثانى : لو سلمنا بذلك ، لكن دعوى ان الله ينتزع هذه الاجزاء الاصليه من الجسم الغارق ،ويعذبه بالنار ، هذا مجرد تجويز لم يقم عليه دليل ، بل اذا وازنا بين هذا التجويز وبين ما يقوله المعترض ،لكان قول المعترض اقرب الى العقل.

والصحيح فى الجواب : ان الحياة القبرية وما فيها من نعيم وعذاب لها شأن خاص ، لايخضع لما جرت عليه العاده فى هذه الحياه كما سيأتى فى الرد على منكرى الحياه القبريه مفصلا.

---

(١) تفسير الرازى جـ ٣٠ ص ١٤٥

وقال القشيرى : قوله تعالى : " فادخلوا نارا " اى بعد اغراقهم ، وهذا يدل على عذاب القبر .

ومنكروه يقولون : صاروا (مستحقى) دخول النار ، اوعرض عليهم اماكنهم من النار ، كما قال تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " (١) . (٢)

ونجيب على هؤلاء : ان التأويل فى ادخال النار باستحقاق النار باطل ، لأن استحقاق دخول النار ، ثابت قبل ذلك ، فلا معنى لأن يكون الاستحقاق بعد الاغراق ، لأنهم استحقوا النار بكفرهم الحاصل قبل الاغراق .

واما قولهم : اوعرض عليهم اماكنهم من النار ، واستشهادهم بقوله تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " فالآية وردت فى اثبات عذاب القبر كما بينا سابقا ، وهى بالتالى شاهد عليهم لا لهم ، واذا كان مرادهم بالعرض ، انما هو التعذيب ، فقد ثبت عذاب القبر .

فلو تجاوزنا هذا المعنى ، فمجرد العرض على النار عذاب ، لأن العرض يحتاج الى حياة ، واذا عرضت عليه النار ، وظهر انه من اهل النار ، كان فى ذلك عذاب .

وخلاصة القول : انه بناء على هذا التأويل للخصوم فهناك حياة ، وهناك ادراك لما يؤول اليه امر هذا الميت من العذاب فى النار ، كل هذا يشهد بكذب من ينكر الحياه القبريه ، فان المنكرين يزعمون انه لا حياة ولا نعيم ولا عذاب فتأويلهم هذا حجة عليهم .

وقال الضحاك (٣) : كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب آخر فى

---

(١) المؤمن : ٤٥ (٢) تفسير القرطبى جـ ١٨ ص ٣٠٧

(٣) الضحاك بن مزاحم البلخى الخراسانى ابو القاسم : مفسر . كان يؤدب الاطفال ويقال : كان فى مدرسته ثلاثة الاف صبى . قال الذهبى : كان يطوف عليهم على حمار ، وذكره ابن حبيب تحت عنوان : اشراف المعلمين وفقهاؤهم له كتاب فى التفسير / الاعلام جـ ٣ ص ٣١٠

حالة واحده .(١)

ونرد على الضحاك : انه يفر بجوابه هذا من الاعتراض من كون الماء في جانب والنار في جانب آخر ، ونقول : ان هذا كلام بعيد جدا ، ويكذبه الواقع ، فان الغريق يبقى في الماء وهو محيط به من كل جانب وليس له جانب خارج الماء حتى يكون هذا الجانب في النار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد قاس الضحاك ما يجرى على الغريق من عذاب وغيره ، على ماجرت عليه العاده في احوال الدنيا وهذا قياس لاصحة له كما بينا سالفا .

والله اعلم .

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٣٠٧ ، وانظر غرائب القرآن جـ ٢٨ ص ٥٩ وتفسير الخازن جـ ٦ ص ١٥٦ .

٣- وكذلك استدلوا بقوله تعالى : (ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون) (١) .

وقوله تعالى : " ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٢) .

قال ابن عباس (٣) رضي الله عنهما : نزلت هذه الاية " ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات " في قتلى بدر ، وقتل يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الانصار ، وكانوا يقولون : مات فلان ومات فلان . فنهى الله تعالى ان يقال فيهم : انهم ماتوا .

وعن آخرين ان الكفار والمنافقين قالوا : ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضاة محمد صلى الله عليه وسلم ، من غير فائدة فنزلت هذه الآية (٤) .

وقال ابن كثير (٥) : يخبر الله تعالى ان الشهداء في برزخهم احياء يرزقون كما جاء في رواية مسروق قال : سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية : " ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون "

---

(١) البقره : ١٥٤ (٢) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠

(٣) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليه النبي عليه السلام بالفقه والحكمه في الدين ، وكان يقال له حبر هذه الامه ، وكان عمر يقرب ابن عباس مع الصحابه ،تقديرا لسداد رأيه ومبلغ علمه ،تولى الاماره على البصره في عهد علي ثم امضى آخر ايامه في الطائف ومات فيها سنة ٦٨ هـ / الاصابه جـ٢ ص٣٣٠

(٤) تفسير الرازي جـ ٤ ص ١٦٣

(٥) هو اسماعيل بن عمر بن ضو القرشي ، ابو الفداء : حافظ مؤرخ فقيه ، رحل في طلب العلم ، وتناقل الناس تصانيفه من تصانيفه : البدايه والنهايه ، وتفسير القرآن العظيم وغيرها مات سنة ٧٦٧هـ/ الاعلام جـ ١ص ٣١٧

قال : اما انا قد سألنا عن ذلك ، فقال : ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ،قالوا: اى شيئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء ؟ ،ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا : يارب نريد ان ترد أرواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى ، فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا .(١)

وقال الرازى : واعلم ان ظاهر الآيات يدل على كون هؤلاء المقتولين احياء ، فاما ان يكون المراد منه حقيقة او مجازا ، فان كان المراد منه هو الحقيقة ، فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون فى الآخرة احياء ،او المراد انهم احياء فى الحال ، وبتقدير ان يكون هذا هو المراد ،فاما ان يكون المراد اثبات الحياة الروحانية ، او اثبات الحياة الجسمانية ، فهذا ضبط الوجوه التى يمكن ذكرها فى هذه الآيات .

الاحتمال الاول : ان تفسير الآية بأنهم سيصيرون احياء فى الآخرة ، قد ذهب اليه جماعة من متكلمى المعتزلة ، منهم ابو القاسم الكعبى (٢) قال : ذلك لأن المنافقين الذين كانوا يقولون : اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يعرضون انفسهم للقتل ، فيقتلون ويخسرون الحياة ولا يصلون الى خير ، وانما كانوا يقولون ذلك لجحدهم البعث والمعاد ، فكذبهم الله تعالى

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٦ ، والحديث فى مسلم بشرح النووى جـ ١٣ ص ٣١ ، وانظر مسند الحميدى جـ ١ رقم ١٢٠ .

(٢) هو عبدالله بن احمد محمود الكعبى البلخى المشهور ، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية ، وهو صاحب مقالات ، ومنها: ان الله سبحانه وتعالى ليس له اراده ، وان جميع افعاله واقعة منه بغير اراده ومشيئة منه .
توفى سنة ٣٢٧ هـ / وفيات الاعيان وانباء الزمان لابن خلكان جـ ٣ ، ص ٤٥ .

ويدن بهذه الاية انهم يبعثون ويرزقون ويوصل اليهم انواع الفرح والسرور والبشارة .

واعلم ان هذا القول باطل ، ويدل عليه وجوه :-

الأول : ان قوله تعالى "بل احياء" ظاهره يدل على كونهم احياء عند نزول الآية ، فحمله على انهم سيصيرون احياء بعد ذلك عدول عن الظاهر .

الثاني : انه لاشك ان جانب الرحمة والفضل والاحسان ، ارجح من جانب العذاب والعقوبه ، ثم انه تعالى ذكر اهل العذاب ، وانه احياهم قبل يوم القيامة لاجل التعذيب فانه تعالى قال : "اغرقوا فادخلوا نارا" (١) والفاء للتعقيب ، والتعذيب مشروط بالحياة ، وايضا قال تعالى : "النار يعرضون عليها غدوا وعشيا" (٢) واذا جعل الله اهل العذاب احياء قبل يوم القيامة لاجل التعذيب ، فلئن يجعل اهل الثواب احياء قبل القيامة لاجل الاحسان والاثابة كان ذلك أولى .

الثالث : انه لو اراد انه سيجعلهم احياء عند البعث في الجنة لما قال للرسول صلى الله عليه وسلم : "ولاتحسبن" مع علمه بأن جميع المؤمنين كذلك ، اما اذا حملناه على الثواب حسن قوله "ولاتحسبن" ، لأنه عليه الصلاة والسلام لعله ما كان يعلم انه تعالى يشرف المطيعين والمخلصين بهذا التشريف ، وهو انه يحييهم قبل يوم القيامة ، لاجل ايصال الثواب اليهم .

فان قيل : انه عليه الصلاة والسلام وان كان عالما بانهم سيصيرون احياء عند ربهم عند البعث ، ولكنه غير عالم بانهم من اهل الجنة ، فجاز ان يبشره الله بأنهم سيصيرون احياء ويصلون الى الثواب والسرور .

---

(١) نوح : ٢٥
(٢) المؤمن : ٤٦

قلنا : قوله " ولاتحسبن " انما يتناول الموت لأنه قال " ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا " ،فالذى يزيل هذا الحسبان هو كونهم احياء في الحال ، لأنه لاحسبان هناك في صيرورتهم احياء يوم القيامة ، وقوله : " يرزقون فرحين " هو خبر مبتدأ ولاتعلق له بذلك الحسبان ، فزال هذا السؤال.

الرابع: قوله تعالى : " ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم" والقوم الذين لم يلحقوا بهم لابد وان يكونوا في الدنيا ، فاستبشارهم بمن يكون في الدنيا ، لابد وان يكون قبل قيام القيامة ، والاستبشار لابد وان يكون مع الحياة ، فدل هذا على كونهم احياء قبل يوم القيامة.(١)

ويمكن ان نقول ان هذه الوجوه التى ذكرها الرازى في بعضها نظر ، كالوجه الثاني فانه مجرد كلام خطابي يعوزه الدليل ،لأنه يجوز ان يكرمهم الله تعالى بدون عذاب.

الاحتمال الثاني : وهو ان المراد في هذه الآية ان الشهداء احياء في الحال ، والقائلون بهذا القول ، منهم من اثبت هذه الحياة للروح ،ومنهم من اثبتها للبدن.

الاحتمال الثالث : في تفسير هذه الآية عند من يثبت هذه الحياة للأجساد والقائلون بهذا القول اختلفوا ، فقال بعضهم : انه تعالى يصعد اجساد هؤلاء الشهداء الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادة والكرامات اليها ، ومنهم من قال يتركها في الأرض ويحييها ،ويوصل هذه السعادات اليها.

واعترض عليهم بقول : انا نرى اجساد هؤلاء الشهداء قد تأكلها السباع

---

(١) تفسير الرازى جـ ٩ ص ٨٩ - ٩٢

فاما ان يقال ان الله تعالى يحييها حال كونها في بطون السباع ويوصل الثواب اليها ، او يقال ان تلك الاجزاء بعد انفصالها من بطون السباع يركبها الله تعالى ، ويؤلفها ويرد الحياة اليها ويوصل الثواب اليها ، وكل ذلك مستبعد ، ولأنا قد نرى الميت المقتول باقيا اياما الى ان تتفسخ اعضاؤه ، وينفصل القيح والصديد ، فان جوزنا كونها حيه متنعمه عاقله عارفه ، لزم القول بالسفسطة.(١)

والجواب عن هذا الاعتراض سيأتي في الرد على شبه المنكرين للحياة القبرية باذن الله.

واما الشق الثاني من هذا الاحتمال الثالث ، هو المعقول الذي يؤيده ما يأتي من الاحاديث ، واما الشق الأول ، وهو ان اجسادهم ترفع الى السماء ، فهذا بعيد يحتاج الى دليل.

الاحتمال الرابع: انه ليس المراد من كونهم احياء حصول الحياة فيهم ، بل المراد بعض المجازات وبيانه من وجوه :-

الأول : قال الاصم البلخي(٢) : ان الميت اذا كان عظيم المنزلة في الدين ، وكانت عاقبته يوم القيامة البهجة والسعادة والكرامة ، صح أن يقال : انه حي وليس بميت ، كما يقال في الجاهل الذي لاينفع نفسه ولا ينتفع به احد : انه ميت وليس بحي ، وكما يقال للبليد : انه حمار ، وللمؤذي انه سبع ، الى غير ذلك من المجازات.

الثاني : قال بعضهم في مجاز هذه الحياة ، ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لاتبلى تحت الأرض البتة . واحتج هؤلاء بأنه لما اراد معاوية أن

---

(١) المصدر السابق جـ ٩ ص ٩٣

(٢) هو حاتم بن عنوان ابو عبدالرحمن الاصم . من اهل بلخ عرف بالزهد والتقلل ، واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام في الزهد والحكم ولد بخراسان وتوفي سنة ٢٣٧ هـ / تاريخ بغداد جـ٨ ص ٢٤١ .

يجرى العين على قبور الشهداء ، امر بأن ينادى : من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع ، قال جابر : فأخرجناهم رطاب الابدان ، فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فقطرت دما .

الثالث : ان المراد بكونهم احياء انهم لايغسلون كما تغسل الاموات ولا يصلى عليهم .(١)

وهناك جواب حاسم وهو ان هؤلاء المنافقين او الكفار ، حسبوا ان الشهداء يموتون بعد قتلهم مباشرة ، فاذا ما رد الله تعالى عليهم بأنهم احياء ، يجب ان يكون الاحياء في الوقت الذى حسب به الحاسبون فيه بانهم اموات ، هذا وان التفسير للاحياء بالمجاز لايصلح ردا على حسبانهم امواتا ، انما هو الموت الحقيقى المادى ، فكونهم احياء حياة مجازيه لا يصلح ردا عليهم ، وانما الذى يصلح ردا عليهم ، انهم يحيون حياة حقيقية لامجازيه . والله اعلم .

---

(١) المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٤

٤- واستدلوا كذلك بقوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء "[١].

قال الرازي : اعلم انه تعالى لما بين في الآيات السابقة ان صفة الكلمة الطيبة ، ان يكون اصلها ثابتا ، وصفة الكلمة الخبيثة ان لا يكون لها اصل ثابت ،بل تكون منقطعة ولا يكون لها قرار ،ذكر ان ذلك القول الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم وثبات ثوابه عليهم ، والمقصود بيان ان الثبات في المعرفة والطاعة ، يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى ، فقوله :" يثبت الله " اى على الثواب والكرامة ، وقوله : " بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة" اى بالقول الثابت الذى كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا .

ثم قال : ويضل الله الظالمين " يعني كما ان الكلمة الخبيثة ماكان لها اصل ثابت ولا فرع باسق ، فكذلك اصحاب الكلمة الخبيثة وهم الظالمون يضلهم الله عن كراماته ويمنعهم عن الفوز بثوابه[٢] .

ونلاحظ على عبارة الرازي انها توهم الحمل على الوجوب العقلي في حق الله تعالى ، كما زعم المعتزلة ،ولكن الرجل من ائمة اهل السنة ولا يقول بشيئ من الوجوب العقلي على الله ، ولهذا حملنا الوجوب في عبارته على الوجوب الشرعي ، ومثل هذا التعبير قوله تعالى :" وما من دابة الا على الله رزقها "[٣] وقال ايضا : وفي الآية قول آخر وهو المشهور: ان هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر ، وتلقين الله تعالى المؤمن كلمة

---

(١) ابراهيم : ٢٧
(٢) تفسير الرازي جـ ١٩ ص ١٢٢
(٣) هود : ٦

الحق في القبر عند السؤال ، وتثبيته اياه على الحق . فمن البراء بن عازب (١) رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال في قوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ..الآيه" قال : نزلت في عذاب القبر ، حين يقال له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ ، فيقول : ربى الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم".

وفي رواية عنه ايضا ، انه صلى الله عليه وسلم قال : " المسلم اذا سئل في القبر ، يشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله ، فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .... الآية (٢) ".

والمراد من الباء في قوله تعالى : " بالقول الثابت " هو ان الله تعالى انما ثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول ، ولهذا الكلام تقرير عقلي وهو ، انه كلما كانت المواظبة على الفعل اكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب اقوى ، فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا اله الا الله وعلى التأمل في دقائقها وحقائقها اكمل واتم ، كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت اقوى واكمل .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا ثبته الله عليها في قبره ، ويلقنه اياها (٣) .

---

(١) البراء بن عازب الانصارى الاوسي رضى الله عنه ، من الصحابه ، وروى انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة غزوه ، وشهد مع على موقعة الجمل وصفين وقتال الخوارج ، ونزل بالكوفه ومات سنة ٧٢ هـ . / الاصابه جـ ١ ص ١٤٢

(٢) الحديث متفق عليه انظر فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣١ ، مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٣

(٣) المصدر السابق جـ ١٩ ص ١٢٢

ونحن نؤكد تعلق الثبات فى القبر للمؤمن ، بما كان عليه من يقين وصدق وثبات فى الحياة الدنيا ، وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر ، فقال : اترد علينا عقولنا يارسول الله ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم كهيئتكم اليوم" ، فقال عمر : بفيه الحجر.(١) وذلك كناية عن انه اذا ردت اليه روحه يستطيع ان يدافع عن ايمانه بالجواب الذى يسكت الفتان ويقنعه ، وهذه المدافعة مبنية على صدق واخلاص مع الله سبحانه وتعالى فى الحياة الدنيا قبل الموت.

وقيل فى قوله تعالى" فى الحياة الدنيا " فلا يزلّون اذا فتنوا فى دينهم ، فيثبتهم الله على دينهم مدة حياتهم ، وذلك كما جرى لاصحاب الاخدود ، وكما جرى لبلال وكثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذين نشروا بالمناشير ومشّطت لحومهم بأمشاط الحديد من الأمم السابقة دون أن يتمكن اعداء الله من فتنتهم عن دينهم.

" وفي الآخرة " أي بعد الموت وذلك فى القبر الذى هو اول منزل من منازل الآخرة ، وفى مواقف القيامة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم ، ولاتدهشهم الاهوال.(٢)

وقوله تعالى : " ويضل الله الظالمين" يعنى ان الكفار اذا سئلوا فى قبورهم قالوا : لاندرى وانما قالوا ذلك لأن الله اضلهم.(٣)

ومما يؤكد ذلك ، مادلت عليه الأحاديث الكثيرة على عدم توفيق الله للمنافق والكافر فى الاجابة عند السؤال فى القبر فمنها :-

---

(١) الفتح الربانى فى ترتيب مسند الامام احمد الشيبانى للساعاتى جـ ٨ ص ١٠٧

(٢) تفسير الرازى جـ ١٩ ص ١٢٢

(٣) تفسير البيضاوى جـ ٣ ص ١٦٠ ، وانظر روح المعانى للالوسى جـ ١٣ ص ٢١٧

حديث انس بن مالك (١) رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " واما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لاادرى ! كنت اقول ما يقول الناس ! فيقال : لادريت ولا تليت " (٢)

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " واما الكافر فذكر موته ، قال : ويعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لاادرى ! - فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه ، لاادرى ! فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لاادرى ! ... الحديث " (٣)

وبالجملة فان هذا التثبت فى قوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .. الاية " حاصل للانسان المؤمن بتوفيق من الله تعالى بعد الموت عند سؤال الملكين اياه ، وهو ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة التى ذكرناها آنفا ، وانما يكون هذا التثبيت للمؤمن ، بناء على ثباته وصدقه فى اتباع اوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، والمداومة على ذلك قبل الموت .

كذلك فان الخذلان وعدم التوفيق فى قوله تعالى : " ويضل الله الظالمين " حاصل من المنافق او الكافر ، باضلال من الله تعالى بعد الموت عند سؤال الملكين اياه ، وهو ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث التى وردت آنفا ، وانما يكون ذلك بناء على كفرهم

---

(١) انس بن مالك بن النضر بن النجار الانصارى الخزرجى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عشر سنين ، واحد المكثرين من روايته عنه نزل البصره ومات فيها وهو آخر من مات من الصحابه فيها وكان ذلك سنة ٩١ هـ رضى الله عنه / الاصابه جـ ١ ص ٧١

(٢) الحديث متفق عليه واللفظ للبخارى . انظر فتح البارى جـ٣ ص ٢٣١ ، ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٣ ، قوله : لادريت ولا تليت : اى لا اتبعت الناجين .

(٣) رواه احمد جـ ٤ ص ٢٨٨ واسناده صحيح . انظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٨

وضلالهم عن الحق ، ومعصيتهم لله تعالى قبل الموت ، فاستحقوا بذلك هذا الجزاء ، اعاذنا الله واياكم فان قيل : فالظاهر ان هذه الآيه نزلت فى سؤال القبر ، قلنا بالتوفيق فى هذه الاجابة على هذا السؤال ، ينجو من العذاب من يوفق ، وبالاخفاق فى اجابته ، يقع فى العذاب من لا يوفق ، فالمراد ان الآية نزلت فيما ينجى فيه من عذاب القبر ، وما يوقع فيه من عذابه. والله اعلم.

هـ- وأستدلوا كذلك بقوله تعالى :" حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون . لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون "(١)

وقال الالوسى (٢) : حتى هنا ابتدائية ، وغاية المقدر يدل عليه ماقبلها ، والتقدير : فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين وتحضرهم " حتى اذا جاء احدهم الموت...الخ" ، ونظير ذلك قوله : فياعجبا حتى كليب تسبنى ، فان التقدير يسبنى كل الناس حتى كليب (٣).

ولقد أختلفوا في وقت المسائلة للرجعة فالاكثرون على انها في حالة المعاينة ، لأنه عندها يضطر الى معرفة الله تعالى ، والى انه كان عاصيا . وقال اخرون : بل يقول ذلك عند معاينة النار في الآخرة ، ولعل هذا القائل انما ترك ظاهر هذه الآية ، لما اخبر الله تعالى في كتابه عن اهل النار في الآخره انهم يسألون الرجعة ، لكن ذلك مما لايمنع ان يكونوا سائلين الرجعة في حال المعاينة ، والله تعالى يقول :" حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون " فعلق قولهم هذا بحال حضور الموت ، وهو حال المعاينة ، فلا وجه لترك هذا الظاهر (٣) .

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠

(٢) محمود الالوسى مفسر ومحدث وأديب من المجددين من اهل بغداد ، وهو سلفي الاعتقاد ، من كتبه روح المعانى ، وغرائب الاغتراب ، ومقامات في التصوف مات سنة ١٢٧٠هـ / الاعلام جـ ٨ ص ٥٣

(٣) تفسير الرازى جـ ٢٣ ص ١١٩ ، ١٢٠ ، وانظر روح المعانى للالوسى جـ ١٨ ص ٦٣

وما يؤكد هذا المعنى ، وهو انهم يسألون الرجعة عند معاينة الموت ، وظهور اماراته ، اى اذا ظهر لاحدهم اى احد كان منهم امارات الموت ، وبدت له احوال الآخرة : قال تحسرا على مافرط فى جنب الله تعالى : " رب ارجعون "(١).

هذا وقد دلت الآية الكريمة : " حتى اذا جاء احدهم الموت .. الآية" على ان احدا لن يموت حتى يعرف اضطرارا اهو من اولياء الله ام من اعدائه ، ولولا ذلك لما سألوا الرجعة ، فيعلموا بذلك قبل نزول الموت(٢).

فان قيل : لعلّ منشأ سؤال الرجعة مجرد مشاهدة الموت دون ان يرى عذابا حتى يثبت عذاب القبر . قلنا : هذا احتمال باطل لأنه يقول فى سؤاله : " رب ارجعون لعلّى اعمل صالحا فيما تركت " فهذا يشهد قطعا بأنه رأى جزاء سوء عمله السابق ، فضرع الى الله تعالى ان يرجعه الى الحياة الاولى كى يعمل صالحا فلا يجزى شيئا ، اما مجرد الموت فلايحمل على هذا السؤال ، لأن الموت فى ذلك لا يستلزم شيئا من ذلك ، فان الانبياء والصالحين وغيرهم يموتون . والله اعلم.

لقد تعرضت الآية الكريمة الى الرجعة وطلبها ، وهذا يحتم علينا أن نبحث هذا البحث ، وهو : ان الرجعة خاصة بالكافر ، ام تتناول الكافر والمؤمن ؟

---

(١) المصدر السابق جـ ٢٣ ص ١٢٠

(٢) تفسير القرطبى جـ ١٢ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، وانظر تفسير الرازى .. جـ ٢٣ ص ١٢٠

قال القرطبي (١) : ليس سؤال الرجعة مختصا بالكافر ، فقد يسألها المؤمن كما في آخر سورة المنافقين : في قوله تعالى :" فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين" (٢) سأل الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا .

وروى الترمذي (٣) عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس ، قال : من كان له مال يبلغه ، الى حج بيت ربه ، او تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت ، فقال رجل : يا ابن عباس اتق الله ، انما سأل الرجعة الكافر . فقال : سأتلوا عليك بذلك قرآنا : " وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب" (٢) (٤)

وقال الرازي : اختلفوا في قوله تعالى :" حتى اذا جاء احدهم الموت" ، فالاكثرون انه راجع الى الكفار ، وهو الاقرب وذلك لأن المؤمن اذا عرف منزلته في الجنة ، فاذا شاهدها لايتمنى اكثر منها ، ولولا ذلك لكان ادونهم ثوابا يغتم بفقد ما يفقد من منزلة غيره واما ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، من قوله : " وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت" فهو اخبار عن حال الحياة في الدنيا ، لاعن حال الثواب فلايلزم على ماذكرنا (٥) .

---

(١) محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي من كبار المفسرين من اهل قرطبة ، عرف بصلاحه وتقواه وتعبده ، رحل الى مصر واستقر في شمال اسيوط / الاعلام جـ ٦ ص ٢١٧

(٢) المنافقون : ١٠

(٣) محمد بن عيسى بن سوره السلمي البغوي الترمذي ابوعيسى : من ائمة علماء الحديث وحفاظه ، من اهل ترمذ على نهر جيحون ، تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه ، ارتحل الى خراسان والعراق والحجاز ، وعمي في آخر أيامه ، وكان يضرب به المثل في الحفظ مات سنة ٢٧٩ هـ / الاعلام جـ ٧ ص ٢١٣

(٤) تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٥) تفسير الرازي جـ ٢٣ ص ١٢٠ ، ١٢١

نقول : رغم غموض عبارة الرازى فى رده على ابن عباس ، لكن يمكن ان نقول فى تفسيرها وفهمها ما يأتى : يقول الرازى كما فهمنا ، ان الرجعة التى نتحدث عنها ، ونختلف فى انها للكافر فقط ، او للكافر والعاصى ، انما هى رجعة بعد الموت ، بعد ان ذهبت الدنيا ، ومن فيها ، وصرنا فى الآخرة ، كما هو ظاهر الآية " رب ارجعون " ، وهذا حديث فى الآخرة بعد انقضاء الدنيا ، فحديث الرجعة انما هو بعد انقضاء الدنيا ، اما ما ذكره ابن عباس فليس فيه رجعة كهذا ، بل طلب من عصاة المؤمنين ، انه كان يتمنى على الله انه يطيل فى عمره ، فبدل ان يكون ثمانين مثلا التى اعرض فيها عن الانفاق والعمل الصالح ، تكون تسعين حتى ينفق ويكون من الصالحين ، فهو لا يطلب رجعة ، بل امهالا فى الدنيا التى لم تزل .

ففرق بين الرجعة التى فيها النزاع ، وبين ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما .

واما قوله تعالى : " ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " ، فالبرزخ هو الحاجز والمانع ، كقوله فى البحرين " بينهما برزخ لا يبغيان "(١) ، اى .. فهؤلاء صائرون الى حالة مانعة من التلاقى حاجزة عن الاجتماع ، وذلك هو الموت ، وليس المعنى انهم يرجعون الى البعث ، وانما هو اقناط كلى ، لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة.(٢)

وقال مجاهد(٣) : البرزخ : الحاجز ما بين الدنيا والآخرة .(٤)

---

(١) الرحمن : ٢٠

(٢) تفسير الرازى جـ ٢٣ ص ١٢١

(٣) مجاهد بن جبير ابو الحجاج المخزومى ، الامام المقرئ ، المفسر الحافظ ، مولى السائب المخزومى ، قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، اقف عند كل آية اسأله فيم انزلت ؟ وكيف كانت ؟ مات سنة ١٠٣ هـ / تذكرة الحفاظ للذهبى جـ١ ص ٩٢

(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٥٥ . ولقد اتينا بمعنى البرزخ مفصلا فى أول البحث فلا حاجة لاعادته.

٦- واستدلوا كذلك بقوله تعالى : " ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى "(١)

قال القرطبي : في قوله تعالى : " فان له معيشة ضنكا " أي عيشا ضيقا ، يقال : منزل ضنك وعيش ضنك ، يستوي فيه الواحد والاثنان والمذكر والمؤنث والجمع.(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " فان له معيشة ضنكا " قال : الشقاء كلما اعطيته عبدا من عبادى قلّ اوكثر لا يتقيني فيه ،فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ،وقال ايضا : ان قوما ضلالا اعرضوا عن الحق ،وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين ، فكانت معيشتهم ضنكا ، وذلك انهم كانوا يرون ان الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب ، فاذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به والثقة به ،اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك .

وقال الضحاك(٣) : هو العمل السيء والرزق الخبيث ، وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار(٤) .

وروى عن ابي سعيد الخدرى(٥) مرفوعا في قوله :" معيشة ضنكا" قال : عذاب القبر.(٦)

---

(١) طه : ١٢٤ (٢) تفسير القرطبي جـ١١ ص٢٥٩

(٣) عكرمه بن عبدالله البربرى المدني مولى ابن عباس ،تابعي كان من اعلم الناس بالتفسير والمغازى روى عن اكثر من ثلاثمائه رجل توفى بالمدينه سنة ١٠٥ هـ / الاعلام جـ ٥ ص ٤٣

(٤) مالك بن دينار السامي البصرى الزاهد ،تابعي وثقه ابن حبان والنسائي ،كان يقتات من كسب يده مات سنة ١٢٣هـ وقيل غير ذلك / تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٣ ص ٥١

(٥) سعد بن مالك بن سنان الانصارى الخزرجي ،من المكثرين في رواية الحديث ،وكان من افقه الصحابه المحدثين في سنه توفى سنة ٦٣ هـ رضي الله عنه / الاصابه جـ ٢ ص ٣٥

(٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٦٩

وروى عنه موقوفا في قوله " معيشة ضنكا " قال يضيق عليه قبره ، حتى تختلف اضلاعه فيه ، وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم في قوله : " فان له معيشة ضنكا " قال : عذاب القبر. (١)

قال الطبرى (٢) بعد ذكر الاقوال في قوله تعالى : " فان له معيشة ضنكا " : واولى الاقوال عندى بالصواب ، قول من قال : هو عذاب القبر ، فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتدرون فيم انزلت هذه الآية : " فان له معيشة ضنكا " ؟ اتدرون ما المعيشة الضنك ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : عذاب الكافر في قبره ، والذى نفسى بيده ، انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، اتدرون ما

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٦٩ ، بعد ان ذكر حديث ابى سعيد الخدرى قال : الموقوف أصح ، وقال عن حديث أبى هريره إسناده جيد ، وقال الشوكانى : عن حديث ابى سعيد الخدرى : اخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور ، ومسدّد في مسنده ، وعبد بن حميد وابن جرير ، وابن المنذر وابن ابى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى . وقال في حديث ابى هريره : اخرجه ابن ابى شيبه والبزار وابن المنذر وابن ابى حاتم ، والحاكم وابن مردويه والبيهقى .
فتح القدير جـ ٣ ص ٣٩٢

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، المؤرخ المفسر الامام . عرض عليه القضاء ببغداد فامتنع ، له تصانيف منها : اخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبرى ، وجامع البيان في تفسير القرآن واختلاف الفقهاء ، والقراآت وغير ذلك ، وهو من ثقات المؤرخين
ـ الاعلام ـ جـ ٦ ص ٢٩٤ .

التنين ؟ ، تسعة وتسعون حية ، لكل حية سبعة رؤوس ، ينفخون فــي جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة "(١) . وان الله اتبع ذلك بقولــه : " ولعذاب الاخرة اشد وابقى "(٢) فكان معلوما بذلك ان المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الاخرة . لأن ذلك لو كان في الآخــرة لم يكن لقوله : " ولعذاب الآخرة اشد وابقى " معنى مفهوم ، لأن ذلــك ان لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة ، حتى يكون الذى في الآخرة اشد منه ، بطل معنى قوله : " ولعذاب الآخرة اشد وابقى " فاذا كان ذلــك كذلك ، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك ، التي جعلها الله لهم ، من ان تكون لهم في حياتهم الدنيا ، او في قبورهم قبل البعث ، اذ كان لا وجــه لأن تكون في الآخرة كما قد بينا ، فان كانت لهم في حياتهم الدنيــا ، فقد يجب ان يكون كل من اعرض عن ذلك من الكفار ، فان معيشته فيهــا ضنك ، وفي وجودنا كثير منهم ، اوسع معيشة من كثير من المقبلين علــى ذكر الله تعالى ، القائلين له المؤمنين بذلك ، مايدل على ان ذلــك ليس كذلك ، واذا خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجــه الثالث ، وهو ان ذلك في البرزخ(٣) .

ويتضح لنا ان ترجيح الطبرى غير سليم ، لأنه ذكر للترجيح وجهين :
الأول : الترجيح بالحديث ، وهذا حديث غير صحيح كما علمنا آنفا .
الثاني : انه رجح بقوله تعالى : " ولعذاب الآخرة اشد وأبقى " وهــذا ايضا لا يفيد الترجيح ، لأن عذاب الآخرة اشد من عذاب القبر وعــذاب

---

(١) قال ابن كثير بعد ذكر هذا الحديث : رفعه منكر جدا . والتنّين : الحيه الكبيره انظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٦٩

(٢) طه : ١٢٧

(٣) تفسير الطبرى جـ ١٦ ص ٢٢٨

الدنيا ، فلا وجه بعد ذلك للترجيح .

نعم يمكن ان نقول ، ان الثاني ارجح ، لأنه يصير عندنا رأيان :

الأول : رأى ابن عباس ومن تبعه من التابعين .

الثاني : ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثي ابي سعيد الخدري وابي هريرة ، وقد ثبتت صحة الحديثين ، حديث ابي سعيد الخدري الموقوف ، وحديث ابي هريرة ، فاننا نقول بعد ذلك : بداهة ودينيا الرأى الثاني ارجح من الأول . والله اعلم .

==

٧- واستدلوا كذلك بقوله تعالى : " قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل" (١).

قالوا : ان المراد بالاماتتين والاحياءين فى هذه الآية : الاماتة قبل مزار القبور ، ثم الاحياء فى القبر ، ثم الاماتة فيه ايضا بعد المسائلة ، ثم الاحياء للحشر ، هذا هو الشائع المستفيض بين اصحاب التفسير ، قالوا : والغرض بذكر الاحياءين فى هذه الآية ، انهم عرفوا فيها قدرة الله تعالى على البعث ولهذا قالوا : " فاعترفنا بذنوبنا " اى الذنوب التى حصلت بسبب انكار الحشر ، وانما لم يذكر الاحياء فى الدنيا ، لانهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم فى هذا الاحياء . وذهب بعضهم الى ان المراد ... بالاماتتين ما ذكر ، وبالاحياءين ، الاحياء فى الدنيا والاحياء فى القبر ، لان مقصودهم ذكر الامور الماضية ، واما الحياة الثالثة حياة الحشر ، انما هم فيها فلاحاجة الى ذكرها ، وعلى هذين التفسيرين ثبت الاحياء فى القبر.

واما حمل الاماتة الاولى على خلقهم أمواتا فى أطوار النطف، وحمل الثانية على الاماتة الظاهرة ، وحمل الاحياءين على إحياء الدنيا والاحياء عند الحشر ، وحينئذ لايثبت بالآية الاحياء فى القبر ، فقد رد عليه ، بأن الاماتة انما تكون بعد سابقة الحياة ، ولاحياة فى أطوار النطف هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فانه قول شاذ من المفسرين ، والمعتمد هو قول الأكثرين (٢) . والله اعلم.

---

(١) غافر : ١١
(٢) المواقف جـ ٨ ص ٣١٨ ، وانظر شرح المقاصد جـ٢ ص ٢٢٠

وهناك من الأدلة الأخرى التي استدل بها المثبتون لعذاب القبر ونعيمه ، ولكنها لا تدل دلالة قطعية عليه ، وذلك لتطرق الاحتمال اليها ، نذكرها تتميما للفائدة :

١- قوله تعالى : " ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون "(١).

والغمرات جمع غمرة ، وهي الشدة ، وأصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ، ومنه غمرة الماء ، ثم استعملت في الشدائد ومنه غمرة الحرب ، والجمع غمر ، مثل نوب ونوب ، قوله تعالى : " اليوم تجزون عذاب الهون " أي اليوم الذي تقبض فيه أرواحكم ، أو أراد به الوقت الذي يعذبون فيه الذى مبدؤه عذاب القبر "(٢).

وقيل المراد باليوم مطلق الزمان ، لا المتعارف ، وهو اما حين الموت أو ما يشمله وما بعده (٣).

ويتضح بعد ذلك أنه لا يمكن حمل هذه الآية على ثبوت عذاب القبر لأن المفسرين الذين ذكروا ذلك مترددون في قوله تعالى : " اليوم تجزون عذاب الهون " ، هل المراد به لحظة الموت أو لحظة الموت وما بعدها ؟ ففي الاحتمال الأول ، لا عذاب في القبر ، انما هو عذاب خروج الروح ، وهو في آخر لحظة من الحياة الدنيا للميت وليس في القبر .

نعم الاحتمال الثاني فيه شاهد على عذاب القبر ، لكن المفسرين لم يجزموا بأن المراد باليوم هو لحظة الموت وما بعده ، بل هذا مجرد احتمال ، وقد قالوا : ان الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال . والله أعلم

---

(١) الانعام : ٩٣
(٢) فتح القدير جـ ٤ ص ٤٨١ ، وانظر تفسير الرازى جـ ١٢ ص ٨٥
(٣) روح المعاني جـ ٧ ص ٢٢٤

٢- قوله تعالى : " سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم" (١)

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى قوله تعالى : " سنعذبهم مرتين " قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة ، فقال : "اخرج يافلان فانك منافق ، اخرج يافلان فانك منافق ، فاخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم ، فلقيهم عمر بن الخطاب وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياء انه لم يشهد الجمعة ، وظن ان الناس قد انصرفوا ، واختبأوا هم من عمر ، ظنوا انه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد ، فاذا الناس لم يصلوا ، فقال رجل من المصلين : ابشر ياعمر فقد فضح الله المنافقين اليوم ، فقال ابن عباس : فهذا هو العذاب الأول حين اخرجهم من المسجد ، والعذاب الثانى عذاب القبر . وروى عن السدى (٢) مثل ذلك وعن مجاهد قال : الجوع وعذاب القبر .

وعن قتادة قال : فى قوله تعالى : " سنعذبهم مرتين" عذاب الدنيا وعذاب القبر .

وقال الحسن (٣) : باخذ الزكاة فى اموالهم ، وعذاب القبر ، وكذلك عن ابن زيد والفراء .

---

(١) التوبة :١٠١

(٢) هو اسماعيل بن عبدالرحمن السدى ، تابعى حجازى الاصل ، سكن الكوفه ، كان اماما عارفا بالوقائع وايام الناس . / الاعلام جا ص ٣١٣

(٣) الحسن بن يسار البصرى . ابو سعيد ، تابعى ، كان امام اهل البصره ، وحبر الامه فى زمنه ، وهو احد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، لاتأخذه فى الحق لومة لائم / الاعلام ج٢ ص ٢٤٢

وقال محمد بن اسحق (١) : هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ، ودخولهم فيه ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور ، ثم العذاب العظيم الذى يردون اليه ، عذاب الآخرة والخلد فيه . والاولى أن يقال : مراتب الحياة ثلاث : حياة الدنيا وحياة القبر ، وحياة القيامة .

فقوله تعالى : " سنعذبهم مرتين " المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه ، وعذاب القبر .

وقوله تعالى " ثم يردون الى عذاب عظيم " المراد منه فى الحياة الثالثة ، وهى حياة القيامة . وقال اخرون (٢) : سنعذبهم عذابا فى الدنيا ، وعذابا فى الآخرة .

وقال آخرون : كان عذابهم فى احدى المرتين ، مصائبهم فى اموالهم واولادهم ، والمرة الأخرى فى جهنم .

وقال الطبرى بعد ذكر هذه الاقوال : واولى الاقوال عندى بالصواب فى ذلك ان يقال : ان الله اخبر انه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلا نتوصل به الى علم صفة ذينك العذابين وجائز ان يكون بعض ما ذكرنا من القائلين أنبئنا عنهم ، ليس عندنا علم بأى ذلك من بأى ، على ان فى قوله تعالى " ثم يردون الى عذاب عظيم " دلالة على أن العذاب فى المرتين كلتيهما قبل دخول النار ، والأغلب فى احدى المرتين انها فى القبر (٣) .

---

(١) محمد بن اسحق بن يسار احد الائمه الاعلام من موالى قيس ، وثقه غير واحد ، وهو صالح الحديث الا ما حشاه من الاشياء المنكره والاشعار المكذوبه فى السيره . وقال احمد هو كثير التدليس جدا مات سنة ١٥١هـ / الميزان للذهبى جـ٣ ص ٤٦٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣٨٥ ، وانظر تفسير الرازى جـ١٦ ص ١٧٣-١٧٤ وتفسير القرطبى جـ٨ ص ٢٤١ .

(٣) تفسير الطبرى جـ١١ ص ١٠-١٢

ونحن نؤيد ماذهب اليه الطبرى من ان الآية الكريمة " سنعذبهم مرتين" لاتدل دلالة قطعية على أن احد العذابين المذكورين يكون فى القبر ، وذكر من قال ذلك من اصحاب الاقوال المذكورة آنفا يحتاج الى دليل ، يثبت ماذهبوا اليه ، حتى نقطع بدلالة الآية على عذاب القبر، ولكنا لم نجد دليلا ، يحدد لنا نوع العذابين المذكورين فى الدنيا ، لأن ثبوت الامور الاعتقاديه ، لا يكون على الاغلب والظن ، بل لابد من دليل يثبت ذلك الأمر ،واذ لم يتوصل الى ذلك الدليل ،لانستطيع ان نجزم بأن احد العذابين المذكورين فى الدنيا خاص بالقبر.

والله اعلم.

٣- انه سبحانه وتعالى يذكر فى السورة الواحدة القيامة الكبرى والصغرى ،
كما فى سورة الواقعة ، فانه ذكر فى اولها القيامة الكبرى ، وان الناس يكونون
ازواجا ثلاثة كما قال تعالى : " اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ،
خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء
منبثا ، وكنتم ازواجا ثلاثة" (١)

ثم انه ذكر فى آخرها القيامة الصغرى بالموت ، وانهم ثلاثة اصناف
بعد الموت فقال : " فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وانتم حينئذ تنظرون ، ونحن
اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون ، فلولا ان كنتم غير مدينين ، ترجعونها ان
كنتم صادقين ، فأما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، واما
ان كان من اصحاب اليمين ، فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم" (٢) . (٣)

ونلاحظ ان هذه الآيات المذكوره لاتدل على حياة القبر نعيما ولاعذابا ،
لانه قال : " فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم" وليس
فى الآية مايشهد بأن هذا فى الحياة القبرية ، بل يجوز أن يكون بيانا
وتفصيلا للجزاء فى الآخرة ، والفاء لتفصيل حال المبعوثين ، بل يتأيد
هذا بانه قال فى القسم الاول " وجنة نعيم" فانه لم يعهد فى التعبيرات
القرآنية ، انه يقال فى نعيم القبر ، جنة نعيم ، بل ذلك فى جنة الآخرة
كما يشهد ايضا ان العذاب ليس فى القبر ، بل فى الآخرة قوله تعالى :
" فنزل من حميم وتصلية جحيم " فان هذه العناوين والتعبيرات ، انما هى
عن جهنم الآخرة ، كما يظهر للمتتبع فى اساليب القرآن . والله أعلم

---

(١) الواقعة : ١-٧
(٢) الواقعة : ٨٣ - ٩٤
(٣) فتاوى ابن تيميه ج ٤ ص ٢٦٣

٤- وكذلك فى سورة (ق) هى فى ذكر وعيد القيامة ، ومع هذا قال فيها : "وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد" (١) ثم قال بعدها: "ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد" (١) فذكر القيامتين الصغرى والكبرى ، وقوله تعالى: "وجاءت سكرة الموت بالحق" . اى جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب، وهو الحق الذي جاءت به الرسل ، وليس المراد به الموت ، فان هذا مشهور لم ينازع فيه ، ولم يقل أحد ان الموت باطل ، وقوله: "ذلك ماكنت منه تحيد" ، فالانسان وان كره الموت فهو يعلم انه تلاقيه ملائكته ، وهذا قوله : "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" (٢) واليقين مابعد الموت ، كما قال صلى الله عليه وسلم "اما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه" (٣) والا فنفي الموت لم ينازع فيه احد حتى يسمى يقينا . (٤)

ونلاحظ ان ابن تيميه (٥) اختار فيما ذكره خطوتين : الأولى : انه فسر الحق بغير الموت .

الثانية : انه فسر الحق بالنعيم والعذاب في القبر ، وقد استدل على الخطوة الأولى : وهى ان الحق ليس هو الموت ، بأن الموت حق لم ينازع فيه ، ولم يشك فيه احد ، ونحن نقول : لماذا يخصص اطلاق الحق بالامر الذي يكون مشكوكا فيه ، بل الحق هو الأمر المطابق للواقع ، سواء كان فيه شك اولا ، ثم ان سكرات الموت ، هى المبادىء والاضطرابات التي تتقدم الموت فى الميت ، والمقدمات تأتي بالنتائج ، فنتائج السكرات هى الموت وهو الحق .

---

(١) ق : ١٩ ، ٢٠ (٢) الحجر : ٩٩

(٣) الحديث رواه البخاري فى باب الجنائز / فتح الباري ج ٣ ص ١١٤

(٤) مجموعة الفتاوى ج٤ ص ٢٦٤

(٥) هو احمد بن عبدالحليم بن تيميه الحراني الدمشقي ابو العباس : الامام شيخ الاسلام نشأ فى دمشق ورحل الى مصر وسجن فيهما مده ، علم خلالها اهل السجن اصول الدين ، وسجن في دمشق عدة مرات صنف كثيرا من كتبه فى السجن ثم منع من ذلك ، كان كثير البحث فى فنون الحكمه ، داعية اصلاح في الدين آية فى التفسير والاصول مات بالسجن فى قلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ/ دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ١٠٩

ويتأيد ما رأيناه بما اجمع عليه المفسرون من ان الحق المذكور فى قوله تعالى :" وجاءت سكرة الموت بالحق " هو الموت .

قال الطبرى فى قوله تعالى :" وجاءت سكرة الموت بالحق" وجهان من التأويل ، احدهما : وجاءت سكرة الموت وهى شدته وغلبته على فهم الانسان ، كالسكرة من النوم او الشراب ، بالحق من امر الآخرة ، فتبينه الانسان حتى تثبته وعرفه.

والثانى : وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت ، ويكون تأويل الكلام : وجاءت السكرة الحق بالموت .(١)

واخيرا فحمل الحق على انه عذاب القبر ونعيمه يحتاج الى سند . والله اعلم .

---

(١) تفسير الطبرى جـ١٦ ص١٦٠ ، وانظر تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٢٤

٥- وقال تعالى فى سورة فصلت: " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون" (١) وقد ذكروا ان هذا التنزيل عندالموت. (٢)

وقال الرازى : " تتنزل عليهم الملائكة " قيل عندالموت ، وقيل فى مواقف ثلاثة : عند الموت وفى القبر وعندالبعث. (٣)

ونلاحظ ايضا فى هذه الايات ، انها لاتشهد بأن فى القبر نعيما اوعذابا ، لأن الانسان حينما يموت ، يعتريه الخوف ، فلا يدرى ماذايكون من امره ، فتنزل الملائكة على المؤمنين تطمئنهم وتبشرهم بالجنة ، وفى تبشيرهم بالجنة اشعار بان الكلام متعلق بما يلاقونه فى الآخرة.

وبالجملة ، ليس فى الآية ما يشعر بعذاب القبر ونعيمه. والله اعلم.

---

(١) فصلت : ٣٠ ، ٣١

(٢) مجموعة الفتاوى لابن تيميه جـ ٤ ص ٢٦٤

(٣) تفسير الرازى جـ ٢٧ ص ١٢٢

ب ـ الأدلة النقلية من السنة :

لقد تظاهرت الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من رواية جماعة من الصحابة ، في مواطن كثيرة حتى قال غير واحد انها متواترة (١) لا يصح عليها التواطؤ ، وان لم يصح مثلها ، لم يصح شيء من امر الدين.

(١) ـ حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "المسلم اذا سئل في القبر ، يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة" (٢) وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " نزلت في عذاب القبر ، يقال له : من ربك ؟ فيقول ربي الله ، ونبيي محمد " متفق عليه. (٣)

(٢) وعن انس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه اصحابه ، وانه ليسمع قرع نعالهم ، اتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم : فاما المؤمن فيقول : اشهد أنه عبدالله ورسوله. فيقال له : انظر الى مقعدك من النار ، قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا.

وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لاأدري (كنت اقول ما يقول الناس) فيقال : لا دريت ولاتليت (٤) ، ويضرب

---

(١) ارشاد الساري للقسطلاني جـ ٢ ص ٥٥٦ ، والمقصود بالتواتر : المعنوي .
(٢) ابراهيم : ٢٧
(٣) البخاري جـ ٢ ص ١٢٢ باب عذاب القبر ، ومسلم باب عرض مقعد الميت جـ ٤ ص ٢٢٠١، ٢٢٠٢
(٤) اى لا اتبعت الناجين . مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٥.

(١)
بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين" متفق
(٢)
عليه واللفظ للبخاري .

(٣)
٣- حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده ، بالغداة والعشي ، ان كان من أهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة " متفق عليه .
(٤)

(٥)
٤- حديث عائشة رضي الله عنها ، ان يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : اعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر . فقال : " نعم عذاب القبر حق ".

---

(١) البخاري جـ ٢ ص ١٢٣ كتاب الجنائز ، مسلم باب عرض مقعد الميت جـ ٤ ص ٢٢٠٠

(٢) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيره البخاري ، حبر الاسلام ... ، والحافظ للحديث ، صاحب الجامع الصحيح وهو اول من وضع كتابا على هذا النحو ، رحل في طلب العلم وجمع الحديث من مختلف الامصار وسمع من نحو الف شيخ وروى انه قال : ماوضعت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت لله ركعتين ، وقد امضى في تصنيف هذا الكتاب عشر سنين وتوفي سنة ٢٥٦هـ / وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٤ ص ١٨٨

(٣) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ولد سنة ثلاث من البعثه وهاجر وهو ابن عشر سنين روى عن بعض الصحابه ، وروى عنه من التابعين واشتهر بورعه وعبادته وتقواه مات سنة ثلاث وسبعين هجريه/ الاصابه جـ ٢ ص ٣٤٧ .

(٤) البخاري كتاب الجنائز جـ ٢ ص ١٢٤ ، مسلم كتاب الجنه جـ ٤ ص ٢١٩٩

(٥) عائشة بنت ابي بكر ام المؤمنين ، عرفت بعلمها وذكائها ، وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" وقد انزل الله براءتها من السماء حين قذفها اصحاب الافك ، ماتت سنة ٥٨ هـ / الاصابه جـ ٤ ص ٣٥٩ .

قالت عائشه : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة ، الا تعوذ بالله من عذاب القبر " (١) متفق عليه واللفظ للبخارى .

٥- حديث زيد بن ثابت (٢) رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار ، على بغلة له ونحن معه ، اذ حادت به وكادت تلقيه .

واذا اقبر ستة او خمسة ، فقال : " من يعرف اصحاب هذه القبور ؟ " فقال رجل : انا . فقال : " فمتى ماتوا ؟ " قال : فى الشرك . فقال : " ان هذه الامة تبتلى فى قبورها ، فلولا ان لاتدافنوا (٣) لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى اسمع منه " ثم اقبل بوجهه علينا ، فقال : " تعوذوا بالله من عذاب النار " . قالوا : " نعوذ بالله من عذاب النار . قال : " تعوذوا بالله من عذاب القبر " . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : " تعوذوا بالله من فتنة الدجال " . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال (٤) .

٦- حديث موسى بن عقبه قال : حدثتني ابنة خالد بن سعيد بن العاص " انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعوذ من عذاب القبر (٥) .

---

(١) البخارى جـ ٢ ص ١٢٣ كتاب الجنائز ، مسلم جـ ٤ ص ٢١٩٩ كتاب الجنه

(٢) زيد بن ثابت بن النجار الانصارى الخزرجى ، شهد احدا ومابعدها وكتب الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم ، من علماء الصحابه وخاصة فى الميراث ، وهو الذى جمع القرآن فى عهد ابى بكر الصديق مات سنة ٤٥ هـ / الاصابة جـ ١ ص ٥٦٢

(٣) اى لولا مخافة عدم التدافن اذا كشف لكم. مسلم بشرح النووى ١٧ ص ٢٠٢

(٤) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢١٩٩ كتاب الجنه.

(٥) رواه البخارى جـ ٢ ص ١٢٤ كتاب الجنائز .

٧- حديث ابى هريرة رضى الله عنه ، قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال". (١)

٨- حديث ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير . ثم قال : بلى ، اما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله . قال : ثم أخذ عودا رطبا فكسره باثنتين . ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال : لعله يخفف عنهما مالم ييبسا " (٢)

٩- حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فان كانت صالحة قالت : قدمونى ، وان كانت غير صالحة قالت : ياويلها أين يذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيىء ، الا الانسان ، ولو سمعها الانسان لصعق " (٣)

١٠- حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت الشمس ، فسمع صوتا فقال : " يهود تعذب فى قبورها (٤) متفق عليه .

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٤ كتاب الجنائز
(٢) " " " " " " "
(٣) رواه البخارى جـ ٢ ص ١٢٤ كتاب الجنائز
(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٤ كتاب الجنائز وانظر مسلم جـ ٤ ص ٢٢٠٠ كتاب الجنه ونعيمها .

١١- حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال : وجدتم ماوعدكم ربكم حقا . فقيل له : تدعوا امواتا ؟ فقال : ما انتم بأسمع منهم ولكنهم لايجيبون " رواه البخارى .

وفى رواية عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم ، فقال : يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ فانى وجدت ماوعدنى ربى حقا ، فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ما أنتم باسمع لما أقول منهم ". (١)

١٢- حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير . فيقولان : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبدالله ورسوله ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . فيقولان : قد كنا نعلم انك تقول هذا ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، ثم ينور له فيه ثم يقال له : نم . فيقول : أرجع الى أهلى فاخبرهم . فيقولان : نم كنومة العروس الذى لايوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وان كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدرى . فيقولان : قد كنا نعلم انك تقول ذلك ، فيقال للأرض التئمى عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذبا ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك " (٢)

---

(١) متفق عليه رواه البخارى ج ٢ ص ١٢٤ كتاب الجنائز ، مسلم ج ٤ ص ٢٢٠٣ كتاب الجنة ونعيمها ، وانظر فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٠ كتاب المغازى

(٢) رواه الترمذى ، تحفة الاحوذى ج ٤ ص ١٨٣ وقال حسن غريب ، وقلت وسنده حسن وهو على شرط مسلم / انظر مشكاة المصابيح ج١ ص ٤٩

١٣- حديث البراء بن عازب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " يأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له ، من ربك ؟ فيقول ربي الله. فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : ديني الاسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ... الآية ".

قال : فينادي منادٍ من السماء : أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة ، والبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة ، ويفتح . قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فيها مد بصره . وأما الكافر فذكر موته ، قال : ويعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : هاه هاه لاأدري ، فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء : أن كذب فافرشوه من النار ، والبسوه من النار ، وافتحوا له بابا الى النار . قال : فيأتيه من حرّها وسمومها . قال : ويضيق عليه قبره حتى يختلف فيه اضلاعه ، ثم يقيّض له أعمى أصم ، معه مرزبة من حديد ، لو ضرب بها جبل لصار ترابا ، فيضربه ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب الا الثقلين ، فيصير ترابا ، ثم يعاد فيه الروح ". (١)

١٤- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، انه كان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلاتبكي ، وتبكي من هذا ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ان القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فان نجا منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه ".

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مارأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه ". (٢)

---

(١) رواه احمد ج ٤ ص ٢٨٨ واسناده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ج ١ ص ٤٨ والمرزبة : آلة لكسر الحجارة.

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٣٠٩ في الزهد ، وابن ماجه رقم ٤٢٦٧ في الزهد وسنده حسن . انظر شرح السنة للبغوي ج ٥ ص ٤١٨ .

١٥- وعنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، فقال : " استغفروا لأخيكم ، وسلوا له بالتثبيت ، فانه الان يسأل "(١).

١٦- وعن أسماء بنت أبى بكر(٢) ، قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر فتنة القبر التى يفتن فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ، ضج المسلمون ضجة. رواه البخارى هكذا .

وفى رواية أخرى : حالت بينى وبين أن افهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سكنت ضجتهم ، قلت لرجل قريب منى : أى بارك الله فيك ! ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر قوله؟ قال : " قد أوحى الى انكم تفتنون فى القبور قريبا من فتنة الدجال "(٣).

١٧- وعن جابر(٤) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا أدخل الميت القبر مثلت له الشمس عند غروبها ، فيجلس يمسح عينيه ، ويقول : دعونى أصلى "(٥).

---

(١) رواه ابو داود رقم ٣٢٢١ فى الجنائز وسنده حسن كالذى قبله. شرح السنة للبغوى جـ ٥ ص ٤١٨

(٢) اسماء بنت ابى بكر الصديق من السابقات فى الاسلام وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات النطاقين لانها هيأت له سفرة فاحتاجت الى ماتشدها به ، فشقت خمارها نصفين ، وهى والدة عبدالله بن الزبير رضى الله عنهم ماتت سنة ٧٣ هـ / الاصابة جـ ٤ ص ٢٣٠

(٣) رواية البخارى جـ ٢ ص ١٢٣ كتاب الجنائز ، والرواية الثانية للنسائى وسنده صحيح . أنظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٥٠

(٤) جابر بن عبدالله بن عمرو الانصارى السلمى ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة استشهد والده فى أحد ، وكانت له حلقة فى المسجد النبوى بالمدينه واصيب بصره فى أواخر ايامه ، مات سنة ٧٨ هـ / الاصابه جـ ١ ص ٢١٣

(٥) الحديث رواه ابن ماجه . انظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٥٠

١٨- حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " ان الميت يصير الى القبر ، فيجلس الرجل في قبره من غير فزع ولا مشغوب ، ثم يقال : فيم كنت ؟ فيقول : كنت في الاسلام . فيقال : ما هذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله ، فيصدقانه ، فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار ، فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال له : أنظر الى ماوقاك الله ، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر الى زهرتها ومافيها ، فيقال له : هذا مقعدك ، على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ان شاء الله تعالى . ويجلس الرجل السوء في قبره ، فزعا مشغوبا ، فيقال : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولا فقلته ، فيفرج له قبل الجنة ، فينظر الى زهرتها ومافيها ، فيقال له : أنظر الى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة الى النار ، فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال له : هذا مقعدك ، على الشك كنت وعليه مت ، وعليه تبعث ان شاء الله ".(١)

١٩- حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (٢) رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر ، فقال عمر : أترد علينا عقولنا يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم كهيئتكم اليوم " فقال عمر : بفيه الحجر .(٣)

---

(١) رواه احمد وقال فيه الساعاتي رجاله رجال الصحيح . الفتح الرباني جـ ٨ ص ١١٣ ، ورواه ابن ماجه رقم ٤٢٦٨ وقال فيه محقق المشكاة : وسنده صحيح على شرط الشيخين . مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٥٠ .

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي ، قيل كان اسمه العاص فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله صاحب الصحيفه الصادقة في الحديث وقد اصيب في أواخر أيامه بالعمى ، ومات بالشام سنة ٦٥ هـ وقيل بمكة المكرمه / الاصابه جـ ٢ ص ٣٥٢

(٣) رواه احمد انظر الفتح الرباني جـ ٨ ص ١٠٧

٢٠- حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تحدث ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : قال : اذا دخل الانسان قبره فان كان مؤمنا ، أحف به عمله ، الصلاة والصيام ، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ، ومن نحو الصيام فيرده ، قال : فيناديه اجلس ، قال : فيجلس فيقول له : ماذا تقول فى هذا الرجل ؟ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قال : من؟ قال : محمد ، قال : أنا اشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يقول وما يدريك ؟ أدركته ؟ قال : اشهد انه رسول الله ، قال : يقول على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث . " وان كان فاجرا أو كافرا " قال : جاءه الملك وليس بينه وبينه شيئ يرده ، قال : فأجلسه ، قال : يقول اجلس، ماذا تقول فى هذا الرجل ؟ قال : أى رجل ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أدرى ! سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، قال : فيقول له الملك : على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال : وتسلط عليه دابة فى قبره معها سوط تمره جمرة مثل غرب البعير ، تضربه ماشاء الله ، صماء لاتسمع صوته فترحمه .(١)

٢١- حديث جابر رضى الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى سعد بن معاذ رضى الله عنه حين توفى ، قال : فلما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع فى قبره ، وسوّى عليه ، سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ، ثم كبر فكبرنا ، فقيل يارسول الله لم سبحت ثم كبرت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عز وجل عنه ".(٢)

٢٢- حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله تبتلى هذه الامة فى قبورها ، فكيف بى وأنا امرأة ضعيفة ؟ قال : " يثبت الله الذين

(١) المصدر السابق جـ ٨ ص ١١٤ ورجال احمد رجال الصحيح
(٢) رواه احمد واسناده جيد . / الفتح الرباني جـ ٨ ص ١٣٤

آمنوا بالقول الثابت ... الآية) (١)

٢٣- حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : دخلت على يهودية - استوهبتها طيبا ، فوهبت لها عائشة ، فقالت : أجارك الله من عذاب القبر ، فوقع في نفسي من ذلك ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: فذكرت ذلك له ، قلت : يارسول الله ان للقبر عذابا ؟ قال : نعم انهم ليعذبون عذابا في قبورهم تسمعه البهائم (٢).

٢٤- وعن عبدالله بن القاسم قال : حدثتني جارة للنبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عند طلوع الفجر : اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة القبر (٣).

٢٥- حديث أبي بن كعب (٤) ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الدجال فقال : احدى عينيه كأنها زجاجة خضراء (وفي رواية عينه خضراء كأنها الزجاجة) ، وتعوذوا بالله تبارك وتعالى من عذاب القبر (٥).

٢٦- حديث أم خالد رضي الله عنها ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر (٦).

٢٧- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا ، تلدغه حتى تقوم الساعه ، فلو أن تنينا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء (٧).

---

(١) رواه احمد ورواته ثقات / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٤
(٢) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح / المصدر السابق جـ ٨ ص ١١٩
(٣) رواه احمد وسنده جيد / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٢
(٤) ابي بن كعب بن قيس بن النجار الانصاري ، سيد القراء ، من اصحاب العقبة الثانيه ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، من كتاب الوحي ، سماه عمر بن الخطاب سيد المسلمين رضي الله عنه / الاصابه جـ ١ ص ٢٠
(٥) رواه احمد في مسنده بسند جيد / الفتح الرباني جـ ٨ ص ١٢٢
(٦) رواه احمد بسند جيد / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٢
(٧) رواه احمد وغيره من طريق دراج ، يعني ضعيف / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٤

٢٨- حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرسل على الكافر حيتان ، واحدة من قبل رأسه ، وأخرى من قبل رجليه تقرصانه قرصا ، كلما فرغتا عادتا الى يوم القيامه. (١)

٢٩- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم ، في نخل لأبي طلحة ، يتبرز لحاجته ، قال : وبلال يمشي وراءه يكرم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يمشي الى جنبه فمرَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، بقبر فقام حتى لمّ اليه بلال (أى قرب منه) ، فقال : ويحك يابلال هل تسمع ما أسمع ؟ فقال : ما أسمع شيئا ، قال : صاحب القبر يعذب ، قال : فسئل عنه فوجد يهوديا . (٢)

٣٠- حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : دخلت على امرأة من اليهود فقالت : ان عذاب القبر من البول . فقلت : كذبت ، فقالت : بلى انا لنقرض منه الثوب والجلد ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا ، فقال : ماهذه ؟ فأخبرته بما قالت ، فقال : صدقت قالت : فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يومئذ الا قال ، في دبر كل صلاة : أللهم رب جبرائيل ، أعذني من حرّ النار وعذاب القبر . (٣)

٣١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أكثر عذاب القبر في البول" (٤)

٣٢- وعنه أيضا ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على قبر فقال ائتوني بجريدتين ، فجعل احداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ،

---

(١) رواه احمد واسناده حسن / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٤
(٢) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح / الفتح الرباني جـ ٨ ص ١٢٥
(٣) رواه احمد بسند جيد / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٠
(٤) رواه احمد بسند جيد وصححه ابن خزيمه / المصدر السابق جـ٨ ص ١٣

فقيل يانبى الله أينفعه ذلك ؟ قال : لن يزال أن يخفف عنه ، بعض - عذاب القبر ماكان فيها ندو (١) (رطوبه)

٣٣- حديث حذيفة (٢) بن اليمان رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة ،فلما انتهينا الى القبر ، قعد على شفته ، فجعل يردّ بصره فيه ، ثم قال : يضغط المؤمن فيه ضغطة ، تزول حمائله ، (عواتقه وصدره) ويملأ على الكافر نارا ، ثم قال : ألا أخبركم بشر عباد الله ؟ الفظ المستكبر ، ألا أخبركم بخير عباد الله ؟ الضعيف المستضعف ذو الطمرين ، (الثوب الخلق) لو أقسم على الله لأبر الله قسمه (٣) .

٣٤- حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ، قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا الى القبر ولما يلحد (قبل ادخال الميت) ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلسنا حوله ، وكأن على رؤسنا الطير ، وفى يده عود ينكت (يضرب به) فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر . مرتين أو ثلاثا ، ثم قال : ان العبد المؤمن ، اذا كان فى انقطاع من الدنيا ، واقبال من الآخرة ، نزل اليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيئ ملك الموت عليه السلام ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول أيتها النفس الطيبة أخرجى الى مغفرة من الله ورضوان ،قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط ،ويخرج

---

(١) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٢

(٢) حذيفة بن اليمان العبسى ، صحابى ،شهد مع ابيه احد فاستشهد ابوه فيها ، استعمله عمر بن الخطاب على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وروى عنه انه قال : لقد حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماكان وما يكون حتى تقوم الساعة مات سنة ٣٦ هـ / الاصابه جـ ١ ، ص ٣١٨

(٣) رواه احمد وفيه محمد بن جابر ضعيف ، وقد حكم ابن الجوزى على الحديث بالوضع ،وذب عنه ابن حجر في كتابه المسدد فى الذب عن مسند الامام احمد ،وشواهد المتن كثيرة . الفتح الربانى جـ ٨ ص ١٣٥

منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعد بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة ، الا قالوا ما هذه الروح الطيبه فيقولون : فلان بن فلان بأحسن اسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها ، حتى ينتهى به الى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الأرض ، فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول دينى الاسلام ، فيقولان له : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، فآمنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء ، أن صدق عبدى ، فأفرشوه من الجنة ، والبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مدّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجيئ بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى .

وقال : وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة ، نزل اليه من السماء ملائكة ، سود الوجوه ، معهم المسوح (اللباس الخشن) فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيئ ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، أخرجي الى سخط من الله وغضب ، قال : فتتفرق فى جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف (حديده تستعمل للصوف) فيأخذها ، فاذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، فيخرج منها كأنتن ريح على وجه الأرض فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا :

ماهذه الروح الخبيث ، فيقولون : فلان ابن فلان باقبح اسمائه ، التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به الى السماء ، فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط "(١) فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتابه فى سجين ، فى الأرض السفلى ، فتطرح فيه روحه طرحا ، ثم قرأ : " ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق "(٢) فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى ، فينادى مناد من السماء ، أن كذب فافرشوا له من النار ، وافتحوا له بابا الى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لاتقم الساعة (٣) .

---

(١) الاعراف : ٤٠

(٢) الحج : ٣٠

(٣) رواه احمد جـ ٤ ص ٢٨٧ والسياق له ، والحديث حسنه الترمذى ورواه ابو داود والحاكم وابن ابى شيبة وابن منده وابو نعيم وأبوعوانه الاسفراييني فى صحيحه ، من طرق صحيحة والبيهقى وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، وصححه العلامه ابن القيم فى كتابه الروح ، وقال : هذا حديث ثابت مشهور مستفيض ، صححه جماعة من الحفاظ ، ولا يعلم احد من أئمة الحديث طعن فيه ، وفى اسناد الحديث المنهال بن عمرو ، وثقه ابن معين والعجلى ، وقد تكلم فى المنهال ابن حزم ولايلتفت لكلامه بعد احتجاج الشيخين به والله اعلم / الفتح الربانى جـ ٧ ص٨٠ - ٨٢ ، وانظر كتاب احكام الجنائز للألبانى ص ١٥٩ .

٣٥ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،قال : ان المؤمن ينزل به المـوت ، ويعاين ما يعاين ، فود لو خرجت ، يعني نفسه والله يحب لقاءه ،فان المؤمن يصعد بروحه الى السماء ، فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض ، فاذا قال : تركت فلانا في الدنيا ،أعجبهم ذلك ، واذا قال ان فلانا قد مات ، قالوا : ماجيء به الينا . وان - المؤمن يجلس في قبره ، فيسأل من ربه ؟ فيقول ربي الله ، فيقول : من نبيك ؟ فيقول : نبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فما دينك؟ قال : ديني الاسلام ، فيفتح له باب في قبره ، فيقول ، أو يقال : أنظر الى مجلسك ثم يرى الجنة فكأنما كانت رقده ،(فاذا كان عدو الله) نزل به الموت ، وعاين ما عاين ، فانه يحب ألا تخرج روحه أبدا ، والله يبغض لقاءه ، فاذا جلس في قبره أو أجلس . فيقال : من ربك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال : لادريت . فيفتح له من جهنم ، ثم يضرب ضربة تسمعه كل دابة الا الثقلين ، ثم يقال له : نم كما ينام المنهوش ، فقلت لأبي هريرة ما المنهوش ؟ قال : الذي تنهشه الدواب والجنادب ثم يضيق عليه قبره . (١)

٣٦- حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: شهدنا جنازة مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس (قال نبي الله صلى الله عليه وسلم) : انه الآن يسمع خفق نعالكم ،أتاه منكر ونكير ،أعينهما مثل قدور النحاس ، وأنيابهما مثل صياصي البقر (قرونها) ، وأصواتهما مثل الرعد ، فيجلسانه فيسألانه ، ماكان يعبد ومن كان نبيه ، فان كان ممن يعبد الله قال: كنت أعبد الله ، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، جاءنا بالبينات فآمنا به واتبعناه.

---

(١) رواه أحمد ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فاني لم اعرفه الفتح الرباني جـ ٨ ص ١١٥

فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت .. الآية ،، فيقال له : على اليقين حييت وعليه مت ، وعليه تبعث ، ثم يفتح له باب الى الجنة ، ويوسع له في حفرته ، وان كان من أهل الشك ، قال : لاأدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، فيقال له : على الشك حييت ، وعليه مت ، وعليه تبعث. ثم يفتح له باب الى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين ، لو نفخ أحدهم في الدنيا ما أنبتت شيئا ، تنهشه ، وتؤمر الأرض فتضمه حتى تختلف أضلاعه (١) .

٣٧- حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجنا معه فرأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهتما شديد الحزن ، فجعلنا لانكلمه ، حتى انتهينا الى القبر ، فاذا هو لم يفرغ من لحده ، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقعدنا حوله ، فحدث نفسه هنيهة ، وجعل ينظر الى السماء ، ثم فرغ من القبر ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه فرأيته يزداد حزنه ، ثم انه فرغ فخرج فرأيته سرّى عنه ويتبسم ، فقلنا : يارسول الله رأيناك مهتما حزينا ، فلم نستطع أن نكلمك ، ثم رأيناك سرّى عنك فلم ذلك ؟ قال : كنت أذكر ضيق القبر وغمه ، وضعف زينب ، فكان ذلك يشق على ، فدعوت الله عز وجل أن يخفف عنها ، ففعل ، ولقد ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين (٢) .

---

(١) قال : صاحب الفتح الربانى : رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام / جـ ٨ ص ١١٦

(٢) قال صاحب الفتح الربانى : رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط واسناده ضعيف . / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٦ .

٣٨ - حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى جنازة فجلس الى قبر منها ، فقال : ما يأتى على هذا القبر من يوم الا وهو ينادى بصوت ذلق طلق (فصيح) يا ابن آدم كيف نسيتنى ، ألم تعلم أنى بيت الوحدة . وبيت الغربة . وبيت الوحشه وبيت الدود . وبيت الضيق الا من وسعنى الله عليه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار " (١) .

---

(١) قال صاحب الفتح الربانى : رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه محمد بن ايوب بن سعيد وهو ضعيف / المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٦

ويتضح لنا بعد عرض هذه الأحاديث ، انها فى كثرتها وكثرة طرقها ،تدور حول شيئ واحد ،له مظاهر مختلفة ، ذلك ان للناس بعد موتهم حياة فيها ينعمون او يعذبون ، وفيها يسألون ، وفيها يثبت الله من شاء له التثبيت، ويخذل الله سبحانه من شاء له الخذلان ، وفيها يرى بعضهم مقعده من الجنة ان كان من اهل الجنة ، ومقعده من النار ان كان من اهل النار ، وفيها السؤال عما كانوا عليه فى الدنيا من امور الدين ، حتى انه قد صور العذاب فى صورة هائلة ،تنكشف لجميع الموجودات ما عدا الثقلين ، وفيها استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم من هذا العذاب ، ومواظبته عليه دبر كل صلاة ، وتأكيده على اصحابه رضوان الله عليهم ، وتعليمهم الأستعاذة دبر كل صلاة ،كما يعلمهم آيات القرآن ، ومناداته صلى الله عليه وسلم لاصحاب القبور ومخاطبته لهم ،خطاب من يسمع ويعقل ويتدبر ، وفيها ايضا وهو أهم مافيها ، ان مافى القبر من حياة ونعيم وعذاب وسؤال ، كل ذلك قد حجبه الله تعالى عن حواسّ البشر ، وقد اطلع عليه بعض أنبيائه كما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه كان يسمع انين بعض المعذبين ، بل كان يرى صورا من العذاب كما سيمر معنا من حديث رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولعلّ فى هذا كما سنحققه فيما بعد ردا على من انكر نعيم القبر وعذابه بحجة اننا لانرى ولانسمع ، وسيأتى تحقيق ذلك مفصلا باذن الله فى مناقشة ادلة المنكرين .

واخيرا فان هذه الاحاديث قد اتفقت على معنى واحد ، ومضمون واحد ومجيئها فى هذا العموم ، يمكننا أن نقرر انها متواترة وان كان ذلك فى المعنى ، وكفى بذلك حجة على حياة القبر ونعيمه وعذابه وسؤاله .والله اعلم

الفصـــل الثانـــى

(ادلـة النافين لعذاب القبـر ونعيمه ومناقشتها وابطالها)

لقد انكر عذاب القبر بعض المعتزلة (١) ، ومنهم ضرار بن عمرو والرافضة والخوارج (٢) واليك ادلتهم النقلية والعقلية والرد عليها :

أ - الأدلة النقلية :

الأول : قوله تعالى : " كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون" (٣).

قال الرازى : احتج قوم بهذه الآية على بطلان عذاب القبر ، قالوا : لأنه تعالى بين انه يحييهم مرة فى الدنيا واخرى فى الآخرة ، ولم يذكر حياة فى القبر ، ويؤكد ذلك قوله : " ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون" (٤) . ولم يذكر حياة فيما بين هاتين الحالتين . قالوا : ولا يجوز الاستدلال بقوله تعالى : " قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل" (٥) ، لانه قول للكفار ، ولأن كثيرا من الناس اثبتوا حياة الذر فى صلب آدم عليه السلام ، حين استخرجهم

---

(١) ضرار بن عمرو القاضى ، معتزلي جلد ، له مقالات خبيثة . قال : يمكن ان يكون جميع من يظهر الاسلام كفارا فى الباطن لجواز ذلك على كل فرد منهم فى نفسه / ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٣٢٨

وقد نفى القاضى عبدالجبار ان يكون ضرار منهم ولكنه كان يخالطهم فقط / انظر شرح الاصول الخمسه ص ٧٣٣

(٢) المعتزله : فرقه من فرق المسلمين وأول من اطلق عليهم هذا الاسم الحسن البصرى حينما قال : اعتزلنا واصل بن عطاء ولهم آراء - خاصه كغيرهم من الفرق الأخرى .

الرافضه : من فرق الشيعه اظهروا بدعتهم فى زمن على رضى الله عنه فاحرق بعضهم ونفى البعض الآخر ولهم فرق منها الكيسانيه والسبائيه وغيرها .

الخوارج : وهى فرقة اخرى من فرق المسلمين وهم الذين خرجوا على علىّ حينما قبل التحكيم وقاتلهم علىّ وقضى على كثير منهم . / انظر كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل جـ ١ ص ١٥٤، ١٩٥، وتاريخ المذاهب الاسلاميه لابى زهرة جـ ١ ص ١٣٨

(٣) البقرة : ٢٨ (٤) المؤمنون : ١٥، ١٦ (٥) غافر : ١١

وقال : " الست بربكم "(١) وعلى هذا التقدير حصل حياتان وموتتان ، من غير حاجة الى اثبات حياة فى القبر .

والجواب على ذلك : لم يلزم من عدم الذكر فى هذه الآية ان لاتكون حاصلة وايضا فلقائل ان يقول : ان الله تعالى ذكر حياة القبر فى هذه الآية. لأن قوله :" ثم يحييكم " ليس هو الحياة الدائمة والا لما صح ان يقول :" ثم اليه ترجعون " لأن كلمة ثم تقتضى التراخى ، والرجوع الى الله تعالى حاصل عقب الحياة الدائمة من غير تراخ ، فلو جعلنا الآية من هذا الوجه دليلا على حياة القبر كان قريبا .(٢)

ونلاحظ ان الرازى تكلم فى مقالته هذه فى نواح ثلاثة :

الأولى : تصوير استدلال المعتزلة بهذه الآية .

الثانية : ابطال استدلال المعتزلة.

الثالثة : ان الآية لاتشهد للمعتزلة على بطلان حياة القبر ، بل هى شاهد لأهل السنة.

أما الناحية الأولى : فقد صور استدلال المعتزلة على غير ما يريدون ، فانه جعل استدلالهم بأن التنزيل لم يذكر حياة القبر بين الحياتين الأولى والثانية ، والتصوير هكذا خطأ ، بل ان استدلالهم بالآية فى ان التنزيل نص على الموت بين الحياتين ، واذن فما قاله فى الناحية الثانية من الرد عليهم غير سليم.

وأما الثالثة : فانه حمل الحياة الثانية فى التنزيل" ثم يحييكم " على الحياة القبرية ،مستدلا على ذلك بأن الله تعالى قال : " ثم اليه ترجعون" وفسر الرجوع اليه بالحياة الثالثة ، وهذا تفسير بعيد للآية ، لم يذهب اليه فيما نعلم مفسر من المفسرين ، فضلا عن انه مجرد احتمال فى الآية،

---

(١) الاعراف : ١٧٢
(٢) تفسير الرازى جـ ٢ ص ١٥٢

فلا يصح دليلا لأهل السنة ، لأن الدليل يجب أن يكون قطعيـــا لا مجال فيه للاحتمال

وبعد فانا فى حاجة الى ابطال هذا الدليل كما صورناه ، فنقول : ان التنزيل انما يتحدث عن الامور بحسب ما هو ظاهر ويتعارفه الناس فيما بينهم لا فيما خفى عليهم وخصّ به بعض انبيائه ، اذا كان الأمر كذلك ،فلا مناص من أن يسمى الله تعالى ما بين الحياة الاولى والثانية موتا ، لاسيما وأن الحياة التى نثبتها فى القبر ، حياة على نمط خاص غير معهود للناس ، ولا يعلمه الا بعض انبيائه ، فلو ان شخصا عاديا فتح قبرا فلم يجد فيه الا عظاما باليه ، فلا مناص له من الحكم بان من فى القبر ميت ، يشهد لهـــذا ماقاله الخليفة الثانى ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلـــى الله عليه وسلم ، حين ذهب الى صرعى بدر وخاطبهم ، قال له عمر: كيـف تخاطبهم وقد جيفوا .. الحديث (١) .

فعمر اذ قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، انما يتحدث عما رآه واضحا وهكذا شأن الناس جميعا ، اما ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كشف لـــه من الحياة مالم يكشف لغيره ، فلا يسوّغ لغيره من الناس ، ان يحكموا بحياة فى القبر ، ولاسيما على نمط ما يألفون ويعهدون ، والله سبحانه وتعالـــى حينما يتحدث عن الحياة والموت ، انما يتحدث على حسب ما الفه الناس وعهدوه ، واذن فلابد من ان يكون الحديث كما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :" كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليـــه ترجعون" وانما حكم التنزيل بأنهم اموات بالقياس الى الحياة المعهودة وعلى هذا النسق قوله تعالى :" وما انت بمسمع من فى القبور" (٢) وأما ما ذهب اليه المنكرون من انه لايصح الاستدلال بقوله تعالى :" ربنا امتنا اثنتين واحييتنـــا اثنتين .. الآية" فباطل ،بل الآية شاهدة على الحياة القبرية وقد شرحنا ذلـك فى ادلة المثبتين.(٣)

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٢٠٣ كتاب الجنه ونعيمها (٢) فاطر :٢٢

(٣) أنظر ص ٢٥ من البحث

الثاني : قوله تعالى :" لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم"(١). قالوا : انهم لو أحيوا في القبر لذاقوا موتتين.

قال صاحب المواقف : ان ذلك وصف لاهل الجنة والضمير في (فيها).. للجنة ، اى لايذوق اهل الجنة في الجنة الموت ، فلا ينقطع نعيمهم كما انقطع نعيم اهل الدنيا بالموت ، فلا دلالة في الآية على انتفاء موتة اخرى بعد المسئلة ، وقبل دخول الجنة ، واما قوله :" الا الموتة الاولى" فهو تأكيد لعدم موتهم في الجنة على سبيل التعليق بالمحال ،كأنه قيل : لو امكن ذوقهم الموتة الاولى لذاقوا في الجنة الموت ، لكنه لا يمكن بلا شبهة فلا يتصور موتهم فيها (٢).

يريد صاحب المواقف ان يبطل مازعمه المنكرون لعذاب القبر ،استدلالا على مذهبهم ، بأنه لاحياة في القبر ، وحاصل الابطال ، ان الله سبحانه وتعالى ينفي عن اهل الجنة ان يموتوا فيها ، فمعنى قوله" لايذوقون فيها" أي لايذوقون في الجنة الموت ، وليس المراد انهم لايذوقون الموت مطلقاً الاالموتة الاولى كما فهم المنكرون ، لأنه صرح في الآية بقوله" فيها "أى في الجنة، فالموت المنفي انما هو الموت في الجنة ، فلا ينافي انهم يموتون قبل حياة الآخرة وبعد حياة القبر ، فاصلا بين الحياتين ، فان قيل وبماذا تفسر قوله تعالى :" الا الموتة الاولى " ؟ قلنا : المراد بيان استحالة موت اهل الجنة، اذ المعنى المراد من الآية ان اهل الجنة لو ماتوا فانما يموتون بالموتة الأولى ، فهل يمكن أن يموتوا الموتة الأولى التى انهت حياتهم الأولى ؟ هذا محال ، اذ علق موتهم فيها على أن يكون موتهم فيها هى الموتة الاولى ، وذلك واضح الاحالة فكان موتهم محالا . وذهب بعضهم الى أن الاستثناء في قوله تعالى :" الا الموتة الاولى" منقطع ، أى لكن الموتة الاولى قد ذاقوها

---

(١) حم الدخان : ٥٦

(٢) المواقف : جـ٨ ص ٣١٩ وانظر شرح المقاصد جـ ٢ ص ٢٢٠

فى الدنيا . وقيل انه متصل وتأولوه بأن المؤمن عند موته لمعاينة ما يعطاه فى الجنة ، كأنه فيها لتيقنه بنعيمها . وقيل الا بمعنى سوى وهو صحيح شائع ، بخلاف كونها بمعنى بعد الذي اختاره الطبرى ، فان الجمهور لم يثبتوه .(١)

والصحيح بعد ذلك ، قول من قال : ان الا فى قوله تعالى :" الا الموتة الاولى " بمعنى سوى ،وذلك مثل قوله تعالى :" ولاتنكحوا مانكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ... الآية "(٢) والله اعلم.

---

(١) تفسير البيضاوى جـ ٨ ص ١٤ ، وانظر تفسير الطبرى جـ ٢٥ ص ١٣٧
(٢) النساء : ٢٢

الثالث : ان من انكر عذاب القبر والبرزخ مطلقا ، زعموا انه لم يدل على ذلك القرآن ، وزعموا انه لم يرد ذكره الا من اخبار الآحاد .(١)

وقبل ان نجيب على هذا الزعم نقول : حاصل زعمهم انه لم يرد قرآن بحياة القبر ، بل الذى ورد انما هو احاديث آحاد لاتفيد الا الظن ، والمقام للقطع لانها عقيدة من العقائد ، ونحن اذ نجيب ، نجيب اولا بأن القرآن قد اتى بحياة القبر ، ثم نذكر آيات القرآن الدالة على ذلك .

أولا : قوله تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب"

ثانيا : " قوله تعالى :" مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا . . الآية ".

ثالثا : قوله تعالى : " ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون ".

رابعا : قوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . . . الآية "

خامسا : قوله تعالى : " حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ".

سادسا : قوله تعالى : " ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . . . الآية ".(٢)

وقد سبق بيان دلالة هذه الآيات على الحياة القبرية بايضاح وتفصيل .

ونجيب ثانيا : بأن الأحاديث الواردة فى هذا المعنى وفى كثير من احوال الآخرة متواترة بالمعنى ، وان لم تبلغ الفاظها حد التواتر .(٣)

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيميه جـ ٤ ص ٢٦٣ وانظر ارشاد السارى للقسطلانى جـ ٢ ص ٥٥٧

(٢) المؤمن : ٤٥ ، نوح : ٢٥ ، البقره : ١٥٤ ، ابراهيم : ٢٧ ، المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠ ، طه : ١٢٤ .

(٣) العقائد النسفية ص ١٣٥

وقال ابن القيم (١) : الاخبار الواردة في عذاب القبر والشفاعة والحوض ، ورؤية الرب تعالى ، وتكليمه عباده يوم القيامة ، وأحاديث علوّه سبحانه فوق سماواته على عرشه ، وآحاديث آيات العرش ، والاحاديث الواردة في اثبات المعاد والجنة والنار ، ونحو ذلك مما يعلم بالاضطرار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها ، كما يعلم بالاضطرار انه جاء بالتوحيد وفرائض الاسلام واركانه ، وجاء باثبات صفات الرب تبارك وتعالى ، فانه ما من باب من هذه الأبواب الاّ وقد تواتر فيه المعنى المقصود عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا معنويا ، لنقل ذلك عنه بعبارات متنوعة ، من وجوه متعددة ، يمتنع في مثلها عادة التواطؤ على الكذب عمدا أو سهوا ، واذا كانت العادة العامة والخاصة المعهودة من حال سلف الأمة وخلفها تمنع التواطؤ في الاتفاق على الكذب ، في هذه الاخبار ، ويمتنع في العادة وقوع الغلط فيها ، افادت العلم اليقين ، فكل عالم بهذه الأحاديث ، وطرقها ونقلها وتعددها ، يعلم علما يقينيا لاشك فيه ، بل يجد نفسه مضطرة الى ثبوتها اولا وثبوت مخبرها ثانيا ولا يمكن دفع هذين العلمين عن نفسه ، العلم الأول ينشأ من معرفته بطرق الحديث وتعددها وتباين طرقها ، واختلاف مخارجها وامتناع التواطؤ زمانا ومكانا على وضعها .

والعلم الثاني : ينشأ من جهة ايمانه بالرسالة ، وان الرسول صادق فيما يخبر به ، ولهذا كان جميع أئمة الحديث الذين كان لهم لسان صدق في الامة ، قاطعين بمضمون هذه الأحاديث ، شاهدين بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جازمين بأن من كفر بها او انكر مضمونها فهو كافر ، وانهم

---

(١) هو محمد بن ابى بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن القيم ، من اركان الاصلاح الاسلامي ، واحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيئ من اقواله ، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، واهين وعذب بسببه مات سنة ٧٥١ هـ / الاعلام جـ ٦ ص ٢٨٠ .

حرروا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحريرا لم يبلغه احد سواهم ، لا من الناقلين عن الأنبياء ، ولا من غير الأنبياء ، وهم شاهدوا - شيوخهم على هذه الحال ، وأولئك شاهدوا من فوقهم على ذلك ، حتى انتهى الامر الى من اثنى الله عليهم احسن الثناء واخبر برضاه عنهم واختياره لهم ، واتخاذه اياهم شهداء على الامم يوم القيامة ، ومن تأمل ذلك ، افاده علما ضروريا ، بما ينقلونه عن نبيهم اعظم من كل علم ، حتى انهم يشهدون بذلك ويحلفون عليه ، ويباهلون(١) من خالفهم عليه ، وكل واحد يعلم أن اهل الحديث اصدق اهل الطوائف ، كما قال عبدالله بن المبارك(٢) : وجدت الدين لأهل الحديث ، والكلام للمعتزلة ، والكذب للرافضة ، والحيل لأهل الرأى .

واذا كان أهل الحديث عالمين بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هذه الأخبار ، وحدث بها فى الأماكن والاوقات المتعددة ، وعلمهم بذلك ضرورى ، لم يكن قول من لاعناية له بالسنة والحديث : أن هذه اخبار آحاد لاتفيد العلم ، مقبولا (٣) .

ويتضح مما ذكر أن هذه الاحاديث التى تفيد فى مجموعها ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، قد تناقلها أئمة الحديث مثبتين صحتها ، واذ قد تبين لنا وجوب الاخذ بها ، وثبوت دلالتها نقول : اذا لم يصح مثل هذه الاحاديث

---

(١) المباهلة : يقال بهله الله اى لعنه . والبهل اللعن . قيل نبتهل : نتضرع الى الله فى الدعاء . تفسير القرطبى ج ٤ ص ١٠٤

(٢) عبدالله بن المبارك الحنظلى بالولاء ، المروزى ابو عبدالرحمن : الحافظ شيخ الاسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات افنى عمره فى الاسفار ، حاجا ومجاهدا وتاجرا . وجمع الحديث والفقه والعربية وايام الناس ، مات بعد انصرافه من غزو الروم بالقرب من الفرات / تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٤

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٦٣ لابن القيم .

ولم يؤخذ بها ، لم يصح شيء من امور الدين ،وذلك لانها جاءت مؤكدة لمجمل آيات القرآن الكريم ، التى ذكرناها فى الاستدلال على الحياة القبرية ، فاصبح الايمان بهذه الحاديث واجبا ، ولاعبرة بعد ذلك ، لادعاء النافين من انها خبر آحاد ، فقد بينا بطلان هذا الادعاء ، وقد ثبتت صحة الاحاديث وكثرة طرقها ، اذ انها رويت عن اكثر من بضع وعشرين صحابيا ، وقد اجمع اهل السنة على الاخذ بها . والله اعلم.

=====

ب - ادلتهم العقلية :

قالوا : انما يمكن العمل بالظاهر اذا لم يكن مخالفا للمعقول ، ودليل مخالفته للمعقول انا نرى شخصا يصلب ، ويبقى مصلوبا الى ان تذهب اجزاؤه ولانشاهد فيه حياة ولامسئلة ، فالقول بهما مع عدم المشاهدة سفسطة ظاهرة ، وابلغ منه من اكلته السباع والطيور وتفرقت اجزاؤه ، وابلغ منه من احرق حتى تفتتت اجزاؤه في الرياح العاصفة شمالا وجنوبا وقبولا ودبورا ، فانّا نعلم عدم احيائه ومسئلته (١).

كذلك لو كان له اصل ، لكان يجب في النباش ان يرى العقوبة او المثوبة للمعاقب والمثاب كأن يشاهد عليه اثر الضرب وغيره ، وفي علمنا بخلافه دليل على ان ذلك مما لا اصل له .

وقالوا : ومما يؤكد هذا الكلام ، انه لو كان كذلك ، لكان يجب في المصلوب والميت الذى لم يدفن ان يسمع انينه ، وان يشاهد اضطرابه كل واحد ، والمعلوم انه لايرى مضطربا ، اضطراب المعاقب ، ولا يسمع له انين البتة ، فكيف يكون معذبا والحال كما قلناه ؟ (٢).

وهذه الشبهة التى اوردها المنكرون لعذاب القبر ، جالت في خاطر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ودفعته الى مساءلة النبى صلى الله عليه وسلم حينما سمعه يخاطب صرعى بدر بعد ايام من مصرعهم قائلا : كيف تخاطبهم وقد جيفوا ؟ فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما اقول منهم " (٣).

---

(١) المواقف : جـ ٨ ص ٣١٩
(٢) شرح الاصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٧٣٣ .
(٣) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٢٠٣ كتاب الجنة ونعيمها .

والجواب على هذه الشبهه :

قال الغزالي (١) : ان هذه العين لاتصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت . اما ترى ان الصحابة رضوان الله عليهم كيف كانوا يؤمنون بنزول الوحي وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمنون بأنه صلى الله عليه وسلم يشاهده ؟ فان كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك ، وان كنت آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم ، مالاتشاهده الامة ،فكيف لاتجوز هذا في الميت ؟ (٢)

وقال ابن القيم : ان الله تعالى جعل امر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا ، وحجبها عن ادراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمن بالغيب من غيره.

وان النار التي في القبور والخضرة ليست من نار الآخرة وخضرها ، وهي اشد من نار الدنيا ، فلا يحس بها اهل الدنيا ، وقدرة الله سبحانه وتعالى اوسع واعجب من ذلك ، وقد ارانا الله سبحانه وتعالى من آيات قدرته في هذه الدار ، ماهواعجب من ذلك بكثير ،كنزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعه دون غيره ممن عنده ، ويسمع صوت مجيئه دون غيره ،والجن يتحدثون ويتكلمون بالاصوات المرتفعه بيننا ، ونحن لانسمعهم ، والملائكة تشترك مع المسلمين في المعارك ، تضرب وتطارد اعداء الله تعالى والمسلمون معهم لايرونهم ولا يسمعون كلامهم . والله سبحانه قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدث في الأرض وهو بينهم ،

---

(١) محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام ، فيلسوف متصوف ، له نحو مئتي مصنف ، ولد بخراسان سنة ٤٥٠ هـ ، ورحل الى الشام والحجاز ومصر وغيرها ، نسبته الى صناعة الغزل ، او الى غزلة من قرى طوس ، مات سنة ٥٠٥ هـ / الاعلام جـ ٧ ص ٢٤٧

(٢) احياء علوم الدين للغزالي جـ ٤ ص ٥٠٠

وقد كان جبريل يقرىء النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدارسه القرآن ، والحاضرون لا يسمعون ، ثم ان العبد قادر على أن يزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ، ثم يرده بسرعة فكيف يعجز ذلك الملك ؟ وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شىء قدير ؟ وهل قياس امر البرزخ على ما يشاهده الانسان فى الدنيا الا محض جهل وضلال ، وتكذيب اصدق الصادقين ، وتعجيز رب العالمين ؟ وذلك غاية الجهل والظلم(١) !

واذا كان احدنا يمكنه توسعة القبر عشرة اذرع ومائة ذراع ، وأكثر طولا وعمقا وعرضا ، ويستر توسيعه عن الناس ، ويطلع عليه من شاء فكيف يعجز رب العالمين ان يوسعه ما يشاء على من يشاء ، ويستر ذلك عن أعين بنى آدم ، فيراه بنو آدم ضيقا ، وهو اوسع شيىء واطيبه ريحا واعظم اضاءة ونورا وهم لا يرون ذلك.

وسر المسألة ان هذه السعة والضيق والاضاءة والخضرة والنار ، ليس من جنس المعهود فى هذا العالم ، والله سبحانه انما اشهد بنى آدم فى هذه الدار ، ما كان فيها ومنها ، واما ما كان من امر الآخرة فقد اسبل عليه الغطاء ، ليكون الاقرار به والايمان سببا لسعادتهم ، فاذا كشف لهم الغطاء صار عيانا مشاهدا ، فلو كان الميت بين الناس موضوعا ، لم يمتنع ان يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ، ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه ، ويضربانه من غير ان يشاهد الحاضرون ضربه.

كذلك غير ممتنع أن ترد الروح الى المصلوب والغريق والمحروق ، ونحن لا نشعر بها ، لأن ذلك الرد نوع آخر غير معهود ، فهذا المغمى عليه

---

(١) كتاب الروح لابن القيم ص ٦٣ - ٧١ .

والمسكوت والمبهوت ، احياء وارواحهم معهم ،ولا نشعر بحياتهم ، ومن تفرقت اجزاوه ، لايمتنع على من هوعلى كل شيء قدير ان يجعل للروح اتصالا بتلك الاجزاء على تباعد بينها اوقرب ، ويكون فى تلك الاجزاء شعور بنوع من الألم واللذة (١).

وقال البيهقى (٢): وفى كل ذلك دلالة لمن آمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، على جواز تعذيب من انتقضت بنيته فى رؤيتنا ، اوصار رميما فى اعيننا ، عذابا يسمعه من اراد الله سبحانه ان يسمعه ، دون من لم يرده ويشاهده من اراد الله تعالى أن يشاهده ، دون من لم يرده ، فقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اصوات من يعذب منهم ، ولم يسمعها من كان معه من الصحابة ، ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قصبه فى النار ، ومن يعذب فى السرقة ، والمرأة التى كانت تعذب فى الهرة ، وقد صاروا فى قبورهم رميما فى اعين اهل زمانه ، ولم ير من صلى معه من ذلك مارأى ، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خبر صحيح عنه فى منامه — ورؤيا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وحى — جماعة يعذبون فى اماكن متفرقة ، فى جرائم مختلفة ، ولعلهم صاروا رميما فى قبورهم فى اعيننا (٣)(٤)

وجملة القول ان النافين للحياة القبرية يقولون ان هذه المظاهر اذا وقعت فى دائرة الحسّ ومتناوله ادركها لامحالة ، وقد تحرج موقف اهل السنة بازائها ، وحاولوا احترام منطقها فى الوان مختلفة ، ترجع الى تصوير العذاب والنعيم فى القبر وسائر شئونه بصورة بعيدة عن الحس ، بحيث لا يكون فى عدم الاحساس بها حجة على نفيها ، فجمهورهم ذهب الى أن مظاهر الحياة التى نثبتها ، انما هى مظاهر لاينالها الحس الظاهر .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢

(٢) هو احمد بن الحسين بن على البيهقى ، من ائمة الحديث ، نشأ فى بيهق بنيسابور ، ورحل الى بغداد ، ثم الى الكوفة ومكة وغيرها ، كثرت تصانيفه فى مذهب الشافعى ، وقال فيه الذهبى : لوشاء البيهقى ان يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك ، لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف ، مات سنة ٤٥٨هـ/الاعلام ج١ص ١١٣ - (٣) الحديث رواه البخارى انظر فتح البارى ج١٢ باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ص ٤٣٨ (٤) عذاب القبر للبيهقى ص ٢٠

ويتضح لنا من خلال تتبع الاحاديث التي وردت في نعيم القبر وعذابه ، ان هذه الاحاديث اثبتت لنا ان الحياة وبعض مظاهرها المادية ، ترجع للميت وهي من جنس ما يحس ظاهرا في هذه الحياة الا ان الله تعالى حجب حواسهم عن الاحساس بها ، فلا حجة في عدم الاحساس بها على نفيها ، فانه لاشك أنه سبحانه وتعالى ، قادر على كل شيء وان لم تجر به عادة ، فاذا ما جاءت .. النصوص بهذه المظاهر ، وتعطيل الحواس عن الاحساس بها ، وجب احترام ظاهرها .

والاحاديث التي تشهد لذلك وتثبته قد مرت بنا من سماعه صلى الله عليه وسلم لمن يعذب في القبور ، ولم يسمعها من كان معه من الصحابة من هذه الاحاديث :-

<u>الحديث الأول</u> : مخاطبته صلى الله عليه وسلم لصرعى بدر : " يا ابا جهل بن هشام يا [redacted] امية بن خلف ياعتبه بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، اليس قد وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ماوعدني ربي حقا " فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا ؟ . قال : " والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لايقدرون ان يجيبوا" (١) تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ماانتم بأسمع لما اقول منهم " يدل على انهم يسمعون ويتألمون ، وقد حجب الله ذلك عن الناس ، الاّ بعض انبيائه كالنبي صلى الله عليه وسلم .

<u>الحديث الثاني</u> : روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم في نخل لابي طلحة ، يتبرز لحاجته ، قال : وبلال يمشي وراءه يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ان يمشي الى جنبه ، فمر نبي الله صلى الله عليه وسلم بقبر فقام حتى لم اليه بلال ، فقال : " ويحك يابلال هل تسمع ما أسمع ؟"

---

(١) مسلم بشرح النووي جـ ١٧ ص ٢٧٦ كتاب الجنة ونعيمها .

فقال : ما اسمع شيئا ، قال : " صاحب القبر يعذب " قال : فسئل عنه فوجد يهوديا . (١) فقد ثبت بهذا الحديث ان عذاب القبر امر حسى ولذلك احس به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع عذابه لأن حواسه لم تعطل عن ذلك ، بينما من معه من الصحابه ، وخاصة بلال الذى اقترب من القبر لم يسمعوا شيئا ولم يحسوا بشىء فعدم احساسهم لايكون حجة لعدم ثبوته ، وذلك لأن حواسهم قد عطلت عن ذلك.

الحديث الثالث: ماروى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت الشمس فسمع صوتا فقال : يهود تعذب في قبورها ". (٢)

الحديث الرابع: ما رواه زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه ، اذ حادت به وكادت تلقيه. واذا أقبر ستة أو خمسة ، فقال : " من يعرف اصحاب هذه القبور ؟ " . فقال رجل : أنا . قال : " فمتى ماتوا ؟ " قال : فى الشرك . فقال : " ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا ان لاتدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ". (٣)

وهذا الحديث قد اثبت سماع الدابة التى يركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذاب القبر واضطرابها . فلو لم يكن العذاب امرا محسوسا لما اضطربت الدابة منه.

---

(١) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح . الفتح الربانى جـ ٨ ص ١٢٥ . لمّ اليه : قرب منه .

(٢) الحديث متفق عليه . انظر فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣٢ باب عذاب القبر ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٢ كتاب الجنة ونعيمها .

(٣) رواه مسلم . مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٠ كتاب الجنة.

وهذا الجواب منع لدليل النافين ، القائلين بجمادية الميت وعدم الحركة فيه والادراك ،بل له الحياة والادراك كما علمت ، وعدم شعورنا بذلك لا يدل على نفيه ،لأن الحواس عطلت عن الاحساس بذلك كما جاءت به الاحاديث.

وخلاصة القول : ان المعتزلة احتكموا الى الحسّ ، وقالوا : اننا لا نحسّ بشيء مما قاله اهل السنة في الاموات ، وذكروا على ذلك شواهد عديدة، وتوصلوا من ذلك الى القول : اذا كان الحس لا يشاهد شيئا فليس لذلك الشيء حقيقة واقعة.

وجوابنا ان الاحتكام الى الحسّ في الحياة القبرية احتكام باطل ، وعدم الحسّ بالحياة القبرية لا يصلح شاهدا على نفيها ،لأن الله سبحانه وتعالى عطل حواس البشر ، الا لبعض الانبياء ،عن الاحساس بهذه المشاهد القبرية ، وقد تأيد ذلك بما نقلنا . من الاحاديث التي بلغت حد التواتر في معناها ، واذا كان تعطيل الحواس قد جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذن لا حجة للمنكرين في عدم الاحساس بمشاهدة الحياة القبرية. والله اعلم.

(الفصـــل الثالث)

(القائلـون بوقـوع النعـيم والعـذاب على الروح فقط)

ماذهب اليه ابن حزم من وقوع النعيم والعذاب على الروح فقط

قال أبو محمد بن حزم (١): وأما من ظن أن الميت يحيا في قبره قبل يوم القيامة، فخطأ (٢) " تبطله الآيات التالية:

الأولى: قوله تعالى: " قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل (٣) ".

الثانية: قوله تعالى: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (٤) "

قال: ولو كان الميت يحيا في قبره، لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا، وهذا باطل خلاف القرآن، الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء.

الثالثة: قوله تعالى: " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى (٥) ".

فصح بنص القرآن أن أرواح سائر ما ذكرنا لاترجع الى جسده الآ الى الأجل المسمّى وهو يوم القيامة.

وأما الأحاديث: فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، انه رأى الأرواح ليلة أسرى به عند سماء الدنيا، من عن يمين آدم أرواح أهل السعادة،

---

(١) علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهرى: عالم الاندلس في عصره وأحد أئمة الاسلام. كان في الاندلس ناس كثير ينتسبون الى مذهبه يقال لهم الحزمية، زهد في الوزارة التي كانت له ولأبيه، وانصرف لطلب العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقها وحفظا له تصانيف منها الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلّى وجمهرة الانساب وغيرها توفي في الاندلس سنة ٤٥٦ هـ / دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ١٣٦.

(٢) الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ٦٦، والمحلى ج ١ ص ٢١، ٢٢ - لابن حزم.

(٣) غافر: ١١

(٤) البقره: ٢٨

(٥) الزمر: ٤٢

وعن شماله أرواح أهل الشقاوة ،وأخبر يوم بدر ان خاطب الموتى أنهم قد سمعوا قوله قبل أن تكون لهم قبور ، ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جيفوا ، وأعلمهم أنهم سامعون قوله مع ذلك ، فصح أن الخطاب والسماع لأرواحهم فقط بلاشك ، وأما الجسد فلا حسّ له ، وقد قال تعالى : " وما أنت بمسمع من في القبور " (١). فنفى السمع عمن في القبور وهي الأجساد بلاشك ولا يشك مسلم أن الذى نفى الله عز وجل عنه السمع ، غير الذى أثبت له رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع.

قال : ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ، أن أرواح الموتى ترد الى أجسادهم عند المساءلة ، ولو صح ذلك عنه لقلنا به ، قال : وانما تفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح في القبور الى الأجساد المنهال بن عمرو (٢) وحده ، وليس بالقوى تركه شعبة وغيره ، وقال فيه المغيرة بن مقسّم (٣) الضبى وهو أحد الأئمة : ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ما قد نقل ، وسائر الاخبار الثابتة خلاف ذلك.

قال : وهذا الذى قلناه هو الذى صح أيضا عن الصحابة . أ .هـ (٤)

---

(١) فاطر : ٢٢

(٢) المنهال بن عمرو الاسدى مولاهم الكوفى التابعى ، وثقه يحيى بن معين والنسائى ،وقال فيه العجلى : كوفى ثقة ،وقيل انه سمع من بيته صوت غناء ،وذكره ابن حبان فى الثقات / تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٣١٩ .

(٣) المغيرة بن المقسّم الضبى ،مولاهم ابو هاشم الكوفى الفقيه ، قيل انه ولد اعمى ،اشتهر بحفظه ، وكان من افقه زمانه ، وقال العجلى : المغيرة ثقة فقيه الحديث ،الا انه كان يرسل الحديث ، وقيل انه كان يدلّس ، توفى سنة ست وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك/ تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٦٩

(٤) كتاب الروح لابن القيم : ص ٤١ ، ٤٢

الجواب على ذلك : قال ابن القيم : ما ذكره ابن حزم فيه حق وباطل ، أما قوله من ظن ان الميت يحيا فى قبره فخطأ ، فهذا فيه اجمال ، ان أراد به الحياة المعهودة فى الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن ، وتدبره وتصرفه ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس ، فهذا خطأ كما قال ، والحسّ والعقل يكذبه كما يكذبه النص.

وان أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة ، بل تعاد اليه الروح اعادة غير الاعادة المألوفة فى الدنيا ، ليسأل ويمتحن فى قبره ، فهذا حق ونفيه خطأ ، وقد دلّ عليه النص الصريح الصحيح ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم " فتعاد روحه فى جسده ".

وأما استدلاله بقوله تعالى : " قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .. الآية" فلا ينفي ثبوت هذه الاعادة العارضة للروح فى الجسد ، على أن قوله صلى الله عليه وسلم : " فتعاد روحه فى جسده " لا يدل على حياة مستقرة ، وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به.

والروح لم تزل متعلقه ببدنها وان بلى وتمزّق .

وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام :-

أحدها : تعلقها به فى بطن الأم جنينا .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه الى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به فى حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ومفارقه من وجه آخر .

الرابع : تعلقها به فى البرزخ ، فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا ، بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة ، وهذا الالتفات والرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل انواع تعلقها بالبدن ، ولانسبة لما قبلـه من أنواع التعلق ، فهو تعلق لايقبل البدن معه موتا ولانوما ولافسادا (١).

ونحن نقول ان قوله تعالى :" ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .... الآية " قد استشهد به أهل السنة على ثبوت الحياة القبرية كما مرّ معنا ، فهو بالتالى لايصلح دليلا لابن حزم على ماذهب اليه ، وكذلك فقد بيّنّا أيضا عدم دلالة قوله تعالى :" كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " على انتفاء الحياة القبرية فلاحاجة لتكراره (٢).

وأما استدلاله بقوله تعالى :" الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى اجل مسمّى" فامساكه سبحانه التى قضى عليها الموت ، لاينافى ردها الى جسدها الميت وقتا ماردا عارضا ، لايوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا.

واذا كان النائم (تكون) روحه فى جسده وهو حى ، وحياته غير حياة المستيقظ ، فان النوم شقيق الموت ، فهكذا الميت اذا أعيدت روحه الى جسده ، كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه الى بدنه ، كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت ، فتأمل هذا يزيل عنك اشكالات كثيرة.

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٣ ، ٤٤

(٢) انظر : ص٣٥ ، ص٦٢ من البحث.

وأما اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤيته الأرواح ليلة الاسراء[1] فلا ينافي تعلق الروح بالبدن في القبر ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى موسى قائما يصلي في قبره ليلة الاسراء ،ورآه في السماء السادسة أو السابعة[2] ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر واشراف عليه وتعلق به ، بحيث يصلي في قبره ، ويرد السلام على من سلّم عليه وهو في الرفيق الأعلى .

وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها ، من جنس ماللبدن فانها تصعد الى ما فوق السماوات ثم تهبط الى الأرض مابين قبضها ووضع الميت في قبره ، وهو زمن يسير لايصعد البدن وينزل في مثله ، وكذلك صعودها وعودها الى البدن في النوم واليقظه[3] .

وأما قول الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في قتلى بدر : كيف تخاطب اقواما قد جيفوا ، مع اخباره بسماعهم كلامه ،فلاينافي رد أرواحهم الى أجسادهم ذلك الوقت ، ردا يسمعون به خطابه والأجساد قد جيفت ، فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي فسدت[4] .

ونحن نقول : ان الرد الشافي في هذه المسألة ، هو رد النبي صلى الله عليه وسلم ، على الصحابة اذ قالوا له : كيف تخاطب أقواما قد جيفوا ؟ فان

---

(١) هذا جزء من حديث الاسراء الذي رواه انس بن مالك - انظر فتح الباري ج ١ ص ٤٨٥ كتاب الصلاة .

(٢) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح . الفتح الرباني جـ ٢٠ ص ٢٤٩ ورجاله رجال الصحيح وهو في سلسلة الاحاديث الصحيحة رقم ٢٦٢٧ للألباني

(٣) المصدر السابق ص ٤٤ ، ٤٥

(٤) المصدر السابق ص ٤٥ .

مرادهم بهذا انهم لاحياة لهم ولا شيىء من مظاهر الحياة كسماع الاصوات فكيف يكلمهم ويخاطبهم ؟ فرد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :"والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " ، فان حاصل هذا الرد أنهم يسمعون ما يقول ،ومن هذا شأنه فله الحياة ،وهذا الرد من النبى صلى الله عليه وسلم كاف على ما يزعمه ابن حزم لأن الصحابة كانوا قد فهموا مافهمه ابن حزم فخطأهم النبى صلى الله عليه وسلم بجوابه ، ففى نفس الحديث الذى استدل به ابن حزم ، الرد على ما يزعمه.

وأما قوله تعالى :" وما أنت بمسمع من فى القبور " فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب ، لاتقدر على اسماعه اسماعا ينتفع به ، كما أن من فى القبور لاتقدر على اسماعهم اسماعا ينتفعون به ، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لايسمعون شيئا البتة ، كيف وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين ، وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه ، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذى يسمع !

وأما قوله : ان الحديث لايصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوى (١) ، فهذا من مجازفته رحمه الله ، فالحديث صحيح لاشك فيه ، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان (٢) ، منهم عدى بن ثابت (٣) ، ومحمد بن عقبه ومجاهد .

---

(١) الحديث رواه احمد وقد مرّ معنا تخريجه واقوال أئمة الحديث انظر ص : ٥٦ من البحث.

(٢) زاذان الكندى مولاهم الكوفى الضرير ،يقال انه سمع خطبة عمر بالجابية وروى عن يحيى بن معين انه قال فيه : هو ثقة لايسأل عن مثل هؤلاء ،وقال ابن عدى : احاديثه لابأس بها اذا روى عن ثقة ، وقال العجلى : كوفى تابعى ثقة . مات سنة ٨٢هـ/ تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٣٠٢

(٣) عدى بن ثابت الانصارى: عالم الشيعة الامامية وصالحهم فى عصره قال الذهبى : لوكانت الشيعة مثله لقل شرهم ، وثقه احمد والعجلى والنسائى ، مات سنة ١١٦هـ / ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٣ ص ٦١

قال الحافظ أبو عبدالله بن مندة (١) : أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف حدثنا محمد بن اسحق ، أنبأنا أبو النضر هشام بن القاسم ، حدثنا عيسى بن المسيب عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب ، فذكر الحديث . وفيه ان الروح تعاد الى القبر ، وان الملكين يجلسان الميت ويستنطقانه . ثم ساقه ابن مندة من طريق محمد بن سلمة عن خصيف الجرزى عن مجاهد عن البراء بن عازب . فذكر الحديث .

واضاف ابن القيم : هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ، ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث طعن فيه ، بل رووه فى كتبهم وتلقوه بالقبول ، وجعلوه أصلا من أصول الدين فى عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير ، وقبض الأرواح وصعودها الى بين يدى الله تعالى ثم رجوعها الى القبر ، وقول ابن حزم : لم يروه غير زاذان ، فوهم منه بل رواه عن البراء غير زاذان ، ورواه عنه عدى بن ثابت ، ومجاهد بن جبير ومحمد بن عقبة وغيرهم ، وقد جمع الدارقطنى (٢) طرقه ، وزاذان من الثقات روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره ، وروى له مسلم (٣) فى صحيحه ، قال يحيى بن معين (٤) ثقة ، وقال حميد بن هلال (٥) وقد سئل عنه : هو ثقة لا تسأل عن أمثال هؤلاء . وقال ابن عدى أحاديثه لابأس بها اذا روى عن ثقة .

---

(١) هو محمد بن يحيى بن مندة ، الحافظ للحديث ، عدّ فى الثقات . من اهل اصبهان ، ومندة لقب جده ، وهو جد محمد بن اسحق صاحب السيره النبوية . مات سنة ٣٠١ هـ / تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٧٤١

(٢) هو على بن عمر الدارقطنى الشافعى : امام عصره فى الحديث ، وأول من صنف القرآت وعقد لها ابوابا . نشأ فى دار قطن من احياء بغداد ورحل الى مصر ، من تصانيفه كتاب السنة وغيره ، مات سنة ٣٨٥ هـ فى بغداد / تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٣٤

(٣) مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، حافظ ، من أئمة الحديث ، رحل الى مصر والحجاز والشام والعراق ، وتتلمذ على الامام البخارى وحذا حذوه فى كتابه صحيح مسلم الذى جمع فيه اثنى عشر الف حديث ، وهو احد الصحيحين المعول عليهما فى الحديث ، وقد شرحه كثيرون . مات بنيسابور سنة ٢٦١ هـ / تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ١٠٠

(٤) يحيى بن معين مولى المرى البغدادى : من أئمة الحديث ومورخى رجاله ، نعته الذهبى بسيد الحفاظ ، وقال القسطلانى : امام الجرح والتعديل ، وقال احمد بن حنبل : اعلمنا بالرجال . / تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ١٧٧

(٥) حميد بن هلال بن هبيرة العدوى ، البصرى ، تابعى ثقة فى الحديث وثقه ابن معين والنسائى ، وقال ابو هلال الراسبى : ماكان بالبصرة اعلم منه ، وذكره ابن حبان فى الثقات . / تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٥١ .

وقوله ان المنهال بن عمرو تفرد بهذه الزيادة ،وهي قوله : فتعاد روحه في جسده . وضعفه .

فالمنهال أحد الثقات العدول ، قال يحيى بن معين : المنهال ثقة ، وقال العجلي : كوفي ثقة.

وأعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته غناء ، وهذا لايوجب القدح في روايته واطراح حديثه ،وتضعيف ابن حزم له لاشيء ، فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله :" فتعاد روحه في جسده " وقد بينا أنه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره ، وقد روى ما هو أبلغ منها أو نظيرها كقوله: فترد اليه روحه ، وقوله فيجلسانه ،وكلها آحاديث صحاح لامغمز فيها . (١)

ويتضح لنا بعد ذلك أن ما جاء به ابن حزم من أدلة على نفي العذاب والنعيم عن البدن لاتنفي وقوع ذلك للبدن ، فقد تصور ابن حزم أن اتصال الروح بالبدن بعد الموت هو كاتصالها المعهود في الحياة الدنيا ، ولكن المثبتين لذلك لم يذهبوا الى مثل هذا التصور . فثبت اذن وقوع العذاب والنعيم على الجسد والروح معا . والله اعلم

---

(١) كتاب الروح لابن القيم ص ٤٧ ، ٤٨ .

(الفصل الرابـــع)

========

* تصوير المثبتين لعـذاب القبر من المعتزلـة وموازنتـــه *
مـع أهـل السنـــة

====

لقد أغفلت كتب العقائد مسالك المعتزلة وأدلتهم التي يثبتون فيها الحياة القبرية ، حتى خيّل لبعض الباحثين ، انه ليس لهم مسالك في هذا المطلب ، بل ربما يخيّل للباحث انهم ينكرون الحياة القبرية ، وهذا خطأ اذ الواقع يدل على أن لهم مسالك في اثبات الحياة القبرية نذكرها تتميما للبحث .

أولا : أدلة المعتزلة في اثبات عذاب القبر :

قال القاضي عبدالجبار (١) : اما ثبوته - أي عذاب القبر - يدل عليه :

أ - قوله تعالى : " مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا " (٢) فالفاء للتعقيب من غير مهلة ، وادخال النار لا وجه له الا التعذيب (٣) . وذلك في القبر عقب الموت ، كما تفيده الفاء .

ب - ويدل عليه أيضا قوله تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " (٤) ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر ، غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين .

والدلالة التي تعم ، قوله تعالى : " ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين " (٥) . ولا تكون الاماتة والاحياء مرتين الا في احدى المرتين اما التعذيب في القبر أو التبشير على ما نقوله .

---

(١) هو عبدالجبار بن احمد بن عبدالجبار الهمذاني ، قاضي اصولي . كان شيخ المعتزلة في عصره .
وهم يلقبونه قاضي القضاه ، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره ولي القضاء بالري ومات فيها سنة ٤١٥ هـ / تاريخ بغداد جـ ١١ ص ١١٣

(٢) نوح : ٢٥

(٣) شرح الاصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٧٣٠ - ٧٣٢

(٤) المؤمن : ٤٦

(٥) غافر : ١١

ومتى قالوا ان احدى الا ماتتين انما هو خلق الله تعالى الخلق من نطفة هى موات ، قلنا : ان الاماتة فى الحقيقة انما هى ابطال الحياة وازالتها وتفريق البنية التى تحتاج هى فى الوجود اليها ،وذلك لايتصور فى النطفة التى لم تكن حية أصلا . وبعد فقد أثبت الله تعالى الاماتة مرتين .

جـ - وقال القاضى عبدالجبار ايضا : ومما يدل على ذلك ، ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، كان أحدهما يمشى بالنميمة ، والآخر كان لايستنزه من البول" وروى لايستتر.

ثم ذكر القاضى بعد ذلك : وأما الوقت الذى يثبت فيه التعذيب ، وتعيين ذلك ،فما لاطريق اليه ،ومن الجائز أن يكون بين النفختين على ماقال الله تعالى :" ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ، فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولايتساءلون ".(١)

والبرزخ فى اللغة انما هو الأمر الهائل العظيم ولامعنى له الا العذاب .(٢)

مناقشة الأدلة : أما الاستدلال الأول ، وهو قوله تعالى : " مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا " وأما الاستدلال الثالث ، بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مرّ بقبرين فقال : " انهما ليعذبان وما يعذبان من كبير" .
فالمعتزلة واهل السنة فى تقرير هذين الدليلين سواء ، وأما الاستدلال الثانى بقوله تعالى :" النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " فالبون بين تقرير أهل السنة والمعتزلة شاسع جدا ، واننا سنعرض ما قاله أهل السنة والمعتزلة لنبين لك هذا الفرق الشاسع بين تقرير أهل السنة والمعتزلة.

قال القاضى عبدالجبار : من الأدلة على ثبوت عذاب القبر قوله تعالى :"النار يعرضون عليها غدوا وعشيا" ،وقال : ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر ،غيرانه

---

(١) المؤمنون : ١٠٠ ، ١٠١
(٢) المصدر السابق ص ٧٣٢

يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين .(١)

وأما تقرير الدليل على ثبوت عذاب القبر عند أهل السنة فهو كمايلي :-

قالوا في قوله تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب " . الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا ، وليس المراد منه يوم القيامة ، لأنه عطف عليه يوم القيامة بقوله : "ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب " وليس المراد منه أيضا في الدنيا ، لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ماكان حاصلا لهم في الدنيا ، فثبت أن هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة ، وذلك يدل على عذاب القبر في حق هؤلاء ، واذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم ، لأنه لا قائل بالفرق . فيتم الاستدلال بالعموم .(٢)

ثم أجاب أهل السنة بعد تقرير الدليل على هذا الوجه على اعتراضات المعترضين ، وأثبتوا بطلانها ، وقد ذكرناها مفصلة فلاحاجة لاعادتها .(٣)

ويتضح لنا من خلال عرض تقرير هذا الدليل لكل من الفريقين مايلي :-

١- ان المعتزلة قد أهملوا جزءا حيويا من الدليل الذى تتوقف عليه الدلالة وهو قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " لأن الاستدلال بدون هذا الجزء ، لا يدل على الحياة القبرية أصلا ، لأنه يصح أن يقال انه يوم القيامة.

لكن أهل السنة حينما ذكروا هذا الجزء ، تعين أن عرض النار غدوا وعشيا انما هو في القبر ، بدليل عطف قوله تعالى :- " ويوم تقوم الساعة" عليه.

٢- ان القاضي عبدالجبار لم يبين لنا وجه الدلالة في الآية ، بل اكتفى بقوله : ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر . على حين ان أهل السنة بينوا وجه الدلالة في الآية بذكر الجزء الحيوى في الاستدلال.

---

(١) المصدر السابق ص ٧٣٠
(٢) تفسير الرازى جـ ٢٧ ص ٧٣ ، والمواقف جـ ٨ ص ٣١٧
(٣) انظر الصفحات من : ٧ - ١١

٣- انه معترض على هذا الدليل باعتراض يجعلـه غير منتج للدعوى ، بزعـم انه خاص بآل فرعون ، بينما أثبت أهل السنة أنه عام فى جميع الأمم حيـث قالوا : وإذا ثبت فى حقهم ثبت فى حق غيرهم فيتم الاستدلال بالعمـوم. لأن المسائل الاعتقادية لاتختلف بين امة وأخرى.

٤- ان أهل السنة قد اجابوا على اعتراضات المعترضين فى الاستدلال بهذه الآيـة ، كما بينا سابقا ، على حين أن المعتزلة قد اغفلوا هذه الاعتراضـات والاجابـة عليها.

وأما استدلالهم بقوله تعالى : " ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .. الايـة" فصحيح أيضا ،غير أنهم لم يفصلوا ويبينوا وجه الدلالة فيه ، كما صنع أهـل السنة فى استشهادهم بهذه الآية على الحياة القبرية وغيرها من الآيات ، على نمط ماسبق ، وقد ورد على هذا الدليل اشكالان خطيران :

الأول : ان الاماته تكون اثنتين مع انتفاء الحياة القبرية ، لأن ماقبل الحياة الأولى موت قطعا ، فاذا ما أثبتنا الحياة القبرية كان الموت ثلاثا ، والله سبحانه وتعالى يقول : " كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكـم ثم اليه ترجعون (١) " ولقد دفع هذا الاشكال أهل السنة كما دفعه المعتزلة.

الثانى : ان الحياة على تقدير الحياة القبرية تكون ثلاثة لا اثنتين : الأولـى فى الدنيا والثانية فى القبر والثالثة فى الآخره مع ان الآية ذكرت احياءيـن فقط.

أقول هذا الاشكال تفرد بمعالجته ودفعه أهل السنة بما لامزيد عليـه. أما المعتزلة فقد أغفلوا هذا الموضوع اغفالا تاما (٢). والله اعلم.

---

(١) البقرة : ٢٨

(٢) انظر ص ٣٥ من البحث

ثانيا : تناقض المعتزلة فى حديثهم عن حياة القبر :

لقد ذكر القاضى عبدالجبار فى بداية كلامه عن ثبوت عذاب المقبر ،أن ذلك العذاب واقع عقب الموت ،واستدل على ما ذهب اليه بالأدلة التى بيناها قبل قليل ،ثم ذكر بعد ذلك :

وأما الوقت الذى يثبت فيه التعذيب ، وتعيين ذلك ،فلا طريق اليه،ومن الجائز أن يكون بين النفختين على ما قال الله تعالى :" ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (١) ، فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" (٢) والبرزخ فى اللغة انما هو الأمر الهائل العظيم ، ولا معنى له الا العذاب.

فأنت ترى أن هذا تناقض واضح بين كلامين فى وقت واحد ، فانه قد أثبت أن العذاب فى القبر عقب الموت بما استدل عليه من الآية والحديث ، كما نص عليه هو فى بداية الكلام ، فكيف يأتى هنا ويقول : وأما الوقت الذى يثبت فيه التعذيب ، وتعيين ذلك ، فلا طريق اليه .

كيف يتردد فى وقت العذاب ولا يدرى متى يكون هذا العذاب ؟ ، وأعجب من هذا أنه جوّز وقوعه بين النفختين ، وهل هذا التجويز الا انكار لعذاب القبر الذى اثبته اولا بما استدل عليه من القرآن والسنة؟ .

وهذا تناقض واضح كنا نجل المعتزلة وشيخهم القاضى عبدالجبار أن يقعوا فى مثله ، هذا وان ماذهب اليه القاضى من أن معنى البرزخ فى اللغة الأمر الهائل العظيم ، ثم تفسيره بالعذاب ، فلم اقف عليه بهذا المعنى عند أحد غيره ، وقد استوفينا شرح ذلك فى معرض تعريفنا للبرزخ (٣) وبيّنا أن برزخ الميت يبدأ من موته الى يوم القيامه .

---

(١) المؤمنون : ١٠٠ - ١٠١

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٠ - ٧٣٢

(٣) انظر ص ١ ، ٢ من البحث .

ونقل عنهم انهم قد ذهبوا الى أن سؤال الملكين منكر ونكير انما يكون بين النفختين أيضا (١). وهذا غير صحيح من وجهين :

الأول : ان هذا الرأى مبنى على تجويز وقوع العذاب بين النفختين ، وقد بينا سابقا بطلان ذلك التجويز وتناقضه .

الثاني : لقد اثبت أهل السنة بالأحاديث الصحيحة سؤال الملكين عقب الموت منها :

حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، فقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتبيت فانه الآن يسأل (٢) ".

تأمل فى قوله صلى الله عليه وسلم " فانه الآن يسأل " ، فانه قد حدد وقت سؤال الملكين .

ثالثا :- موازنة بين ادلة اهل السنة والمعتزلة :

أ - من حيث عدد الأدلة : لقد اكتفى المعتزلة فى مسلكهم لاثبات الحياة القبرية بذكر أربعة أدلة فقط ، ثلاثة منها من الكتاب والرابع من السنة (٣) .

على حين أن أهل السنة قد ذكروا فى اثبات الحياة القبرية ست آيات من القرآن الكريم ، وبضعا واربعين حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) .

والافاضة فى ذكر الأدلة على ثبوت شيىء معين يجعل المطلع اكثر ايمانا ، واعتقادا بثبوت ذلك الشيىء ، ومن هنا تبرز لنا أهمية ذكر أهل السنة لكل مايتعلق بالحياة القبرية من أدلة صحيحة من الكتاب والسنة ، ليقطعوا الطريق على من يدور فى ذهنه شيىء من الشك أو الوهم حول ثبوت هذا الأمر .

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص ٢٤٦

(٢) رواه ابو داود فى الجنائز رقم ٣٢٢١ ، وانظر شرح السنة للبغوى جـ ٥ ، ص ٤١٨ .

(٣) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٧٣٠

(٤) انظر ادلة المثبتين لعذاب القبر ونعيمه فى أول البحث .

ورب قائل يقول: دليل واحد صحيح لايرد عليه شيء من الاشكالات ، خير من أدلة كثيرة قد يرد عليها اشكالات كثيرة.

قلنا : لقد بينا فيما سبق أدلة أهل السنة ،وقد استبانت لنا قوتها وصلابتها أمام الاشكالات التى قد يوردها الخصوم ، وانها بمنجاة من ذلك ، وقد بينا كذلك أدلة المعتزلة ومكانتها من القوة أو الضعف.

ب - الاتفاق فى بعض الأدلة:

استدل أهل السنة والمعتزلة بالآيات الثلاث والحديث على ثبوت عذاب القبر وهى :-

١- قوله تعالى :" مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا .. الآية " (١)

٢- وقوله تعالى :" النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ... الآية " (٢)

٣- وقوله تعالى :" قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .. الآية" (٣)

٤- وما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه مر على قبرين فقال :" انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير . ثم قال : بلى ، أما احدهما فكان يسعى بين الناس بالنميمة ، وأما أحدهما فكان لايستنزه من بوله ... الحديث " (٤). متفق عليه.

جـ - الافتراق فى بعض الأدلة:

لقد انفرد أهل السنة فى أدلة لاثبات الحياة القبرية لم يأت بها ... المعتزلة ،وكانت قوية أمام الاشكالات التى قد يوردها الخصوم كما أسلفنا واليك الأدلة النقلية من الكتاب :-

أولا : قوله تعالى :" ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل أحياء ولكن لاتشعرون" (٥) .

---

(١) نوح : ٢٥
(٢) المؤمن : ٤٦
(٣) غافر : ١١
(٤) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣٢ باب عذاب القبر ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ صـ ٢٠٢
(٥) البقرة : ١٤٥

ثانيا : قوله تعالى : " ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " (١)

ثالثا : قوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء " (٢)

رابعا : قوله تعالى : " ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى " (٣).

خامسا : قوله تعالى : " حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " (٤).

وأما الأحاديث فقد رويت عن أكثر من خمسة وعشرين وصحابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزيد على اربعين حديثا ، لاحاجة الى ذكرها مرة ثانية ، فقد بينت هذه الأحاديث فى مجموعها - الذى بلغ حد التواتر المعنوى - ثبوت عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير .

وبعد فقد لاحظنا على المعتزلة التناقض فى بيان وقت العذاب والنعيم فى القبر ، كما بينا ذلك سابقا ، على حين اننا لم نجد هذا التناقض فى أدلة أهل السنة.

واجمالا نقول : لقد تبين لك بعد هذا العرض لأدلة المعتزلة كما جاءت على لسان شيخهم القاضى عبدالجبار ، ومناقشة الأدلة وموازنتها مع أدلة أهل السنة ، أن المعتزلة يختلفون اختلافا كبيرا عن أهل السنة فى تصوير واثبات الحياة القبرية ، بل انهم بتناقضهم بين تعيين وقت العذاب ونفيه كأنما هم قد انكروا ذلك العذاب ، وتراجعوا عنه بعد اثباتهم له ، وتبين لنا أن لهم مسالك فى الحياة القبرية اختلفت عن مسالك اهل السنة كما وكيفا وتقريرا كما أسلفنا . والله أعلم.

---

(١) آل عمران : ١٦٩ (٢) ابراهيم : ٢٧ (٣) طه : ١٢٤
(٤) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠

(الباب الثانى)

سؤال منكر ونكير وفتنتهما

الفصل الأول : منكر ونكير وسبب تسميتهما ووصفهما .

الفصل الثانى : لغة سؤال الملكين ، وموضوع سؤالهما للميت ونتيجته !

الفصل الثالث : فيمن يسأل ويفتن فى القبر .

(الفصل الأول)

الأقوال في منكر ونكير :

اختلفوا في منكر ونكير : هل يأتيان الانسان في قبره أم لا ؟

١- فأنكر ذلك كثير من أهل الأهواء . ومنهم البلخي والجبائي (١) .

٢- وثبته أهل الاستقامه (٢) .

قال المنكرون : ان فيما تدعون من ان الله تعالى يبعث ملكين أحدهما منكر والآخر نكير حتى يسألا صاحب القبر ، ثم يعذبانه أو يبشرانه ، وتسمية ملائكة الله تعالى بما لايليق بهم ، وبما يقتضي استحقاق الذم ،وذلك مما لاوجه له (٣) .

وأجيب بأنه ورد في السمع من ان الله يرسل ملكين ، يسمى احدهما منكرا والآخر نكيرا ، ولاشيء في ذلك ، لأن هذا بمنزلة غيره من الألقاب التي لاحظ لها في افادة المدح والذم ، والثواب والعقاب ، و هو جار على طريقة العرب وتسميتهم ابنائهم وأعزتهم بالصخر والكلب والذئب وغير ذلك ،من غير ان يفيدوا به مدحا ولاذما ، بل لكي يقوم مقام الاشارة على ما هو موضوع التلقيب وعلى أنا لو جعلنا هذا الاسم من الأسماء المفيدة ، فانه ليس يفيد قولنا منكر أكثر من ان الغير لايعرفه ،

وبأن لايعرف شخص من الأشخاص ملكا من الملائكة ، لم يدخل الملك في استحقاق الذم. وهكذا في قولنا نكير (٤) .

---

(١) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي : من أئمة المعتزلة . ورئيس علماء الكلام في عصره ، واليه نسبة الطائفه الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها . مات سنة ٣٠٣ هـ / وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٦٧ .

(٢) مقالات الاسلاميين ~~للبغدادى~~ جـ ٢ ص ١٤٧ ، وانظر العقائد ~~النفسية~~ ص ١٣٢

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٧٣٤

(٤) المصدر السابق ص ٧٣٤

ونحن نثبت هذه التسمية وغيرها مما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر عليه السلام بتسمية هذين الملكين بمنكر ونكير ، وهو عليه الصلاة والسلام أدرى بما يليق وبما لايليق في حق ملائكة الله ، وصدق الله حيث يقول: " وما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحي يوحى "(١) فلا عبرة بعد ذلك لدعوى الانكار ممن انكر هذه التسمية.

ثبوت سؤال الملكين:

وأما ثبوت سؤالهما فقد ورد في كثير من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم منها :

الحديث الأول: عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ،فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة "(٢)

وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وسلم :" يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " نزلت في عذاب القبر ، يقال له: من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبيي محمد "(٣) متفق عليه.

الحديث الثاني: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ان العبد اذا وضع في قبره ،وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم ،أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ الحديث ...".(٤)

---

(١) النجم : ٣ ، ٤

(٢) ابراهيم : ٢٧

(٣) فتح الباري باب عذاب القبر جـ ٣ ص ٢٣١ ، ومسلم بشرح النووي جـ١٧ ص ٢٠٣

(٤) المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٣١ ، جـ ١٧ ص ٢٠٣

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ... الحديث " (١)

الحديث الرابع: عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله. فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول ديني الاسلام. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما يدريك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت .. الحديث " (٢)

الحديث الخامس: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: " استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت فانه الآن يسأل. (٣)

الحديث السادس: عن البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله ... الحديث " (٤)

وقال صاحب الجوهرة: وسؤالنا أي سؤال منكر ونكير إيانا معاشر أمة الدعوة، المؤمنين والمنافقين والكفار بعد انصراف الناس، واجب سمعا، وهو ظاهر الأحاديث. (٥)

وبعد فهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة التي أوردناها، قد بينت في مجموعها سؤال الملكين للميت بعد موته، وبهذا تأكد ثبوت سؤال الملكين ووجوب اعتقاد ذلك.

---

(١) رواه الترمذي. تحفة الأحوذي جـ ٤ ص ١٨٣

(٢) رواه احمد جـ ٤ ص ٢٨٨ . واسناده صحيح. انظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٨ باب عذاب القبر.

(٣) رواه ابو داود في باب الجنائز رقم ٣٢٢١. وانظر شرح السنة للبغوي جـ ٥ ص ٤١٨

(٤) رواه احمد وغيره. الفتح الرباني جـ ٧ ص ٨٠ - ٨٢ باب عذاب القبر.

(٥) شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٠

سبب تسميتهما بمنكر ونكير :

لقد سميا بذلك لكونهما على هيئة منكرة لم يعرف مثلها ، والنكير بمعنى المنكور ، يقال : نكرت الشيء بالكسر وأنكرته بمعنى . وكلاهما ضد المعروف وسميا به لأن الميت لم يعرفهما ولم يرصورة مثل صورتيهما (١) .

وقال القرطبي : فلم سمى فتَّانَا القبر بالمنكر والنكير ؟ فالجواب : انهما سميا بذلك لأن خلقهما لايشبه خلق الآدميين ، ولا خلق الملائكة ، ولا خلق البهائم ، ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع لايأنس بهما أحد من الناظرين ، ولكن الله يخلق عندهما اللطف والرحمة والستر للمؤمنين فضلا منه تعالى ، فيتشكلان لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده (٢) .

ونحن نقول : ومما يؤكد تشكيل الملكين بشاكلة عمل الميت واعتقاده ، ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : يارسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها ، فكيف بى وأنا امرأة ضعيفه ؟ قال : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة " (٣) يريد صلى الله عليه وسلم من ذلك ، ان الله تعالى يرحم المؤمن ويلطف به في مثل ذلك الموقف العظيم ، من هول مطلع الملكين عليه على هيئة لم يعهد مثلها .

صفة الملكين :

لقد وصف الملكان بصفات كثيرة ، منها الفتنة وسود العيون وزرقها ، وكبر حجم تلك العيون ، وتشبيهها بقدور النحاس ، وان لهما قرونا كقرون البقر ، كما وصفهما بشدة هدير صوتيهما حتى انه لشدته يشبه صوت الرعد ، وأما الأحاديث التى أوردت تلك الصفات فمنها :

أولا : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، ان رسول الله صلى الله

---

(١) ارشاد السارى للقسطلانى جـ ٢ ص ٤٦٣
(٢) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبى ص ١٤٥
(٣) الفتح الربانى جـ ٨ ص ١٠٧

عليه وسلم ذكر فتان القبور ، فقال عمر : أترد علينا عقولنا يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم كهيئتكم اليوم" . فقال عمر : بفيه الحجر (١) .

ثانيا : حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان ازرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير (٢) " .

ثالثا : وروى عنه ايضا انه قال : شهدنا جنازة مع نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس ، قال : انه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس ، وأنيابهما مثل صياصى البقر وأصواتهما مثل الرعد ، فيجلسانه فيسألانه ماكان يعبد ومن كان نبيه .... الحديث (٣) .

ونلاحظ ان الملكين قد وصفا بصفات متعددة ، وهذا التعدد والاختلاف لايدل على شيء من التناقض ، ولكنه دليل على ما أسلفنا من ان الله يشكل هذين الملكين على صورة تتفق مع ايمان الميت واعتقاده قبل الموت ، ونظرا لاختلاف اعمال البشر واختلاف عقائدهم ، فان هذين الملكين يختلفان تبعا لذلك . والله اعلم.

---

(١) المصدر السابق جـ ٨ ص ١٠٧
(٢) تحفة الاحوذى جـ ٤ ص ١٨٤ ، وانظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٨
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير . مجمع الزوائد جـ ٣ ص ٥٤ ، وقال صاحب الفتح الربانى فيه ابن لهيعة وفيه كلام . جـ ٨ ص ١١٦

(الفصل الثاني)

١- لغة سؤال الملكين
٢- وموضوع سؤالهما
٣- ونتيجة هذا السؤال

====

لغة سؤال الملكين : هل السؤال باللسان العربى أم بغيره ؟

ظاهر قوله : ماكنت تقول في هذا الرجل الى آخر الحديث انه باللســـان العربى ،

وقال الحافظ بن حجر (١) : يحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل أحد بلسانــه ويستأنس له بارسال الرسل بلسان قومهم .

وعن الامام البلقيني (٢) انه بالسريانية (٣) .

وأما من ذهب الى أن السؤال بلغة خاصة كالسريانية مثلا ، فهذا تكذبــه أحاديث السؤال ،من ربك ومادينك ... الخ ، غاية مافي الأمر أننــا لانستطيع أن نقول ان السؤال مطلقا لكل أمة بلغة العرب ونستدل بهــذا الحديث ،بل ان هذا الحديث انما يتحدث عن مقبورين مسئولين عربا ، فـلا ينافى انه لو كان المسئول غير ذلك لكان بلغته وهذا هو الظاهر .

ولعل من ذهب الى تخصيص لغة معينة لسؤال الملكين من عربية أو سريانية ، كان متأثرا بموجة الشعوبيه التى اجتاحت البلاد الاسلاميه في بعض فتــرات التاريخ ،فجعلت كل فريق يتعصب لقومه ولغته ، وينسب اليها امورا دينية ، تميزا لها عن غيرها من اللغات .

---

(١) هو احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، ابن حجر مــن أئمة العلم والتاريخ ، رحل الى اليمن والحجاز وغيرها لسماع الشيوخ واصبح حافظ الاسلام في عصره ، وولى القضاء على مصر عدة مرات ،توفى بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ / دائرة المعارف الاسلاميـة جـ ١ ص ١٣١

(٢) هو عمر بن رسلان بن نصير الكنانى البلقينى المصرى الشافعى ،مجتهد حافظ للحديث ، من العلماء بالدين ، ولى القضاء بالشام سنة ٧٦٩ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٥هـ
الاعلام ـــ جـ ٥ ص ٢٠٥

(٣) ارشاد السارى جـ ٢ ص ٤٦٥

موضوع سؤال الملكين :

أما موضوع سؤال الملكين فقد صرحت به الأحاديث الصحيحة التى اوردناها آنفا ومنها :

الحديث الأول : عن انس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : فيقولان : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله .. الحديث" (١) متفق عليه .

الحديث الثانى : عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه .. " فيقولان : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبدالله ورسوله ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ... الحديث " (٢)

الحديث الثالث : عن البراء بن عازب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربى الله . فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : دينى الاسلام . فيقولان له : ومايدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة " (٣) . الحديث (٤)

وبعد فقد تبين لنا من خلال هذه الأحاديث ثبوت سؤال الملكين للميت عن ربه ودينه ونبيه ، وعن الأساس الذى اعتمد عليه فى تلك المعلومات فى

---

(١) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣١ باب عذاب القبر ، ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٣

(٢) رواه الترمذى أنظر تحفة الأحوذى جـ ٤ ص ١٨٣

(٣) ابراهيم : ٢٧

(٤) رواه احمد جـ ٤ ص ٢٨٨ ، وانظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٨

الاجابة عنها ، وقد مر معنا أن الكافر والمنافق لايستطيعان الاجابة عن هذه الاسئلة ، وذلك لفقدهما الأساس الذى يتوصل من خلاله الى معرفة الجواب عنها فى الحياة الدنيا قبل الموت ، وهو الايمان بالله تعالى ، وبرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم . والله اعلم.

=========

نتيجة سؤال الملكين :

لقد وضحت الأحاديث الصحيحة نتيجة سؤال الملكين ومنها :-

الحديث الأول : ماروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قوله صلى الله عليه وسلم وفيه :" فيقال له : أنظر الى مقعدك من النار قدأبدلك الله به مقعدا فى الجنة ، فيراهما جميعا ". الحديث.

وهذه نتيجة سؤال المؤمن ،وأما نتيجة سؤال المنافق والكافر ، فقد ورد ذكرها فى الحديث أيضا : " وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولاتليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين". متفق عليه.(١)

الحديث الثانى : ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد سؤال المؤمن : " ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم . فيقول : ارجع الى أهلى فأخبرهم. فيقولان : نم كنومة العروس الذى لايوقظه الا أحب اهله اليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ... الحديث.

وأما نتيجة المنافق فقد ذكرها صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أيضا فقال : " فيقال للأرض :التئمى عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيهامعذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك "(٢)

الحديث الثالث : فيما رواه البراء بن عازب رضى الله عنه بين الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك نتيجة كل من المؤمن والكافر بعد سؤالهما ،فأما المؤمن

---

(١) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣١ باب عذاب القبر ،ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ ، ص ٣١١ .

(٢) رواه الترمذى . انظر تحفة الأحوذى جـ ٤ ص ١٨٣.

قال : " فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة ، ويفتح . قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مدّ بصره .

وأما الكافر : " فينادى مناد من السماء ان كذب فافرشوه من النار ، والبسوه من النار ، وافتحوا له بابا الى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها قال : ويضيق عليه قبره حتى يختلف فيه اضلاعه ، ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا ، فيضربه ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب الا الثقلين ، فيصير ترابا ، ثم يعاد فيه الروح "(١).

وفي رواية أخرى لأسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها ، ذكر النبى صلى الله عليه وسلم نتيجة سؤال الكافر فقال :" وتسلط عليه دابة فى قبره معها سوط تمره به جمرة مثل غرب البعير تضربه ماشاء الله، صماء لاتسمع صوته فترحمه "(٢)

ويتضح لنا من خلال الاحاديث التى ذكرت ، ان نتيجة سؤال الملكين للمؤمنين ان يأتيهم من الجنة ونعيمها مايجعلهم فى أمن وطمأنينة الى يوم الدين وان نتيجة المنافقين والكافرين لما يسألون ، مايأتيهم من حرّ النار والالوان الفظيعة من العذاب والاضطراب الى يوم الدين ، فقد صورت لنا هذه الاحاديث ،ألوانا من النعيم والعذاب تعقب الانتهاء من سؤال الملكين ، تثبت فى مجموعها نتيجة طيبة لمن اراد الله تعالى لهم التثبيت ،ونتيجة هائلة مفزعة لمن اراد الله تعالى لهم الخذلان ،وهذه النتائج مرتبطة بما أدى أصحابها من أعمال فى حياتهم الدنيا وماتوا وهم عليها ، اعتقادا وعملا.

---

(١) رواه احمد جـ ٤ ص ٢٨٨ . وانظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٨
(٢) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح انظر الفتح الربانى جـ ٨ ص ١١٤

فان قيل : ان هذه الاحاديث قد اختلفت في تصوير النعيم والعذاب للميت عقب السؤال قلنا ان الناس مختلفون في النعيم والعذاب اختلافهم في اعمالهم ، ايمانا وكفرا وطاعة ومعصية ، قلة وكثرة ، فالأحاديث تصور أحوالا مختلفة ، بل في هذا الاختلاف شهادة حقة لما ندعي من ثبوت عذاب القبر ونعيمه.

والله اعلم "

(ألفصل الثالث)

فيمن يسأل ويفتن في القبر

١- هل السؤال خاص بهذه الأمة ؟

٢- الأقوال في سؤال الأطفال .

٣- الأقوال في سؤال الأنبياء .

٤- ما ينجي من فتنة القبر .

=====

هل السؤال خاص بهذه الأمة ؟

وقد اختلف في سؤال منكر ونكير ، هل هو خاص بهذه الأمة ، او يكون لها ولغيرها ؟ :-

١- منهم من قال انه خاص بهذه الأمة ، واعتمدوا فيما ذهبوا اليه على قوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : " ان هذه الأمة تبلى في قبورها " (١) .

وبقوله صلى الله عليه وسلم : " أوحى الى أنكم تفتنون في قبوركم ..... الحديث " .

وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة ، قالوا ويدل عليه قول الملكين له في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : " ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ " (٢) .

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه " ماكنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ " (٣)

٢- وقال آخرون : لايدل هذا على اختصاص السؤال ، وانما هو اخبار بأنهم مسئولون في قبورهم .

وقد دل على هذا العموم القرآن والسنة :

أما القرآن فقوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء " .

وقد ثبت انها نزلت في عذاب القبر ، حين يسأل من ربك ومادينك ومن نبيك ؟ (٤) .

---

(١) مسلم بشرح النووي جـ ١٧ ص ٢٠٣
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ٢٣١ باب عذاب القبر ، ومسلم بشرح النووي جـ ١٧ ص ٢٠٣ .
(٣) رواه احمد جـ ٤ ص ٢٨٨ ، وانظر مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٨ .
(٤) كتاب الروح لابن القيم ص ٨٦ والحديث متفق عليه انظر رقم ٢ من هذا الهامش .

وأما السنة فقد روى فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم ، وذكر الحديث زاد البخارى : " وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ ... الحديث " (١)

وكذلك حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتولى عنه أصحابه ، جاءه ملك وفى يده مطراق فأقعده فقال : ماتقول فى هذا الرجل ؟ فان كان مؤمنا قال : اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، فيقول له صدقت ، فيفتح له باب الى النار فيقول : هذا منزلك لو كفرت بربك ، وأما الكافر والمنافق فيقول له : ماتقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقال لادريت ولا اهتديت ... الحديث " (٢).

وفى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه الطويل . " وأما الكافر اذا كان فى اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل عليه الملائكة من السماء معهم مسوح ... وذكر الحديث " (٣) (٤)

ويتضح لنا أن ما ذكره الجمهور من الأحاديث على عموم السؤال ، انما هو تصوير لما تكون عليه هذه الأمة ، وأما الدلالة على حصول مثل هذا السؤال

---

(١) الحديث متفق عليه انظر فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣١ باب عذاب القبر ، ومسلم بشرح النووى ص ١٧ ص ٢٠٣ .

(٢) رواه احمد فى مسنده جـ ٣ ص ٣

(٣) رواه احمد وغيره انظر الفتح الربانى جـ ٧ ص ٨٠ - ٨١

(٤) كتاب الروح لابن القيم ملخصا من ص ٨٤ - ٨٧ ، وانظر ارشاد السارى جـ ٢ ص ٥٦٣ .

على بقية الأمم بهذه النصوص فلاصحة له ، لأنها خاصة في مؤمني هذه الأمة وكفارها ، أي أمة الدعوة ، فلم يبق دليل يعتمد عليه في افادة العموم الا الآية ، وهو قوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " فهي قد افادت عموم السؤال لمؤمني وكفار كل أمة ، لا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقط ، بدليل السياق ، فانه قبل ذلك قال تعالى : " الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار " (١) . وهذا مثل عام لا يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم دون غيرها .

وأما ما استدل به القائلون بتخصيص الفتنة في القبر بالحديثين السابقين : " ان هذه الأمة تبتلي في قبورها " ، و " أوحي الي انكم تفتنون في قبوركم " فان الحديث الثاني لا دلالة فيه على الاختصاص وأما الحديث الأول فانه مجرد اخبار عن فتنة هذه الأمة فلا ينافي فتنة غيرها من الأمم ، فيكون بذلك قد ثبت ما ذهب اليه الجمهور من ان السؤال عام ، وليس خاصا بأمة الدعوة فقط . والله اعلم .

---

(١) ابراهيم : ٢٤ - ٢٦

الأقوال في سؤال الطفل :

اختلف العلماء في سؤال الاطفال في القبر على قولين :

القول الأول : ذهب جماعة الى انهم يفتنون ويمتحنون ، وهم جمهور العلماء منهم ابو حكيم الهمذاني وابو الحسن بن عبدوس ، وهو الذي ذكره ابو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره وهو ما ذهب اليه احمد بن حنبل (١) .

وادلتهم في ذلك :

١- استدلوا بحديث ابي هريره رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه : "اللهم قه عذاب القبر" (٢) وهذا دليل على انه يفتن .

٢- وقالوا كذلك : والدليل على انه يسأل بعد العمومات - اى الادلة العامه التى تتناول البالغين والأطفال - ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يقول في الصلاة على الميت : "اللهم اغفر لحينا ولميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وذكرنا وأنثانا ، وصغيرنا وكبيرنا" (٣) .

٣- كذلك ماروى في حديث انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : "لو كان احد نجا من ضغطة القبر لنجا هذا الصبي" (٤) .

٤- واستدلوا كذلك بحديث انس بن مالك رضي الله عنه : ان غلاما يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بالموت فدخل عليه ، فقعد عند رأسه فدعاه الى الاسلام ، وفي رواية : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "ياغلام قل لا اله الا الله" وفي رواية : "اشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله" . فنظر الغلام الى ابيه فسكت ابوه ، فأعاد عليه النبي صلى الله

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧ وانظر الروح لابن القيم ص ٨٧ .
(٢) الحديث من رواية سعيد بن المسيب . شرح الموطأ جـ ٢ ص ٢٦٠
(٣) النكت والفوائد على شرح العقائد للبقاعي ص ٧٧

عليه وسلم ، فنظر الى ابيه فقال له ابوه : أطع أبا القاسم ،وفي رواية : قل ما يقول لك محمد . فأسلم .

وفي رواية فقال الغلام : اشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله . ثم مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : صلوا على اخيكم ،فخرج صلى الله عليه وسلم من عنده وهو يقول : الحمد لله الذي انقذه ، وفي رواية : أخرجه بي من النار" (١) .

وقد جزم القرطبي بسؤال الصغار وانهم كالبالغين ، وان العقل يكمل لهم ، ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه ، هذا مايقتضيه ظاهر الأخبار ،وقد جاء ان القبر ينضم عليهم كما ينضم على الكبار (٢) .

القول الثاني : وذهب جماعة الى أن السؤال في القبر لمن يعقل ، فلا يمكن سؤال الطفل والحالة هذه ، وكذلك لم يقم الطفل بشيء من العمل حتى ينعم أو يعذب من أجله ،فكيف يسأل عما لم يتمكن من معرفته وعما لم يعمل؟ ولا فائدة من هذا السؤال ، ومن القائلين بهذا القول القاضي ابو يعلى (٣) وابن عقيل (٤) وغيرهما (٥) .

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ٢١٩ كتاب الجنائز

(٢) التذكرة في احوال الموتى والآخرة للقرطبي ص ١٤٥

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى ، عالم عصره في الأصول والفروع وانواع الفنون . من أهل بغداد ، ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين . وولي القضاء ، ولكنه امتنع ولما التزم الخليفة بشروطه وافق على القضاء ، توفي في بغداد سنة ٤٥٨ هـ / تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(٤) هو علي بن عقيل البغدادي الظفري ، ويعرف بابن عقيل ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في عصره . كان قوي الحجة ،اشتغل في مذهب المعتزلة في حداثته . وكان يعظم الحلاج ، وأراد الحنابلة قتله ، ثم أظهر التوبة ، مات سنة ٥١٣ هـ / الأعلام جـ ٥ ص ١٢٩

(٥) مجموعة الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧ وانظر الروح لابن القيم ص٨٧

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة صبي ، فسمع من دعائه : "اللهم قه عذاب القبر" . فليس معناه حصول العذاب المترتب على العمل ، اذ لا عمل للطفل في الحياة الدنيا ، ولكن المقصود به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره وان لم يكن عقوبة على عمل عمله ، ولا ريب ان في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسرى اثره الى الطفل فيتألم به ، فيشرع للمصلي عليه ان يسأل الله تعالى ان يقيه عذاب القبر (١) .

وقيل : يحتمل انه قال ذلك على العادة في الصلاة على الكبير ، أو دعى له على معنى الزيادة ، كما كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تدعو الله ان يرحمها وتستغفره (٢) . ورأينا في هذا المقام يقتضي الحديث في ناحيتين :-

الأولى : نقرر فيها أن السؤال والعقاب والمؤاخذة ، انما هو بناء على التكليف وحيث ان الصبيان ليسوا مكلفين اجماعا فهم بمعزل عن كل آثار التكليف ، نعم اذا أراد الله تنعيمهم قليلا أو كثيرا ، فهذا ليس بناء على أعمال وطاعات أدوها ، بل هذا تفضل منه سبحانه ، وأما التبعات الأخرى من سؤال وعقاب فليس بمعقول أن يلقى الصبية شيء من ذلك لأنهم غير مكلفين ، يقول الله تعالى : "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" (٣) ، وقال صلى الله عليه وسلم "رفع القلم عن ثلاث : المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يدرك ، وعن النائم حتى يستيقظ" (٤)

الثانية : أما ما احتج به المخالفون لهذا الرأي من الأحاديث فنوضحه على الوجه الآتي :-

الحديث الأول : وهو قوله صلى الله عليه وسلم في صلاته على الصبي : "اللهم قه عذاب القبر" ، فلعل المتمسك بهذا الحديث يظن أن الدعاء بالوقاية من العذاب يقتضي ان المدعو له يجعله عرضة للعذاب ، أو يجوز عذابه ، لكنا نقول هذا الاقتضاء ممنوع وسندنا في هذا :

---

(١) الروح لابن القيم ص ٨٨
(٢) شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٦٠
(٣) الاسراء : ١٥
(٤) رواه البخاري في كتاب الحدود . فتح الباري ج ١٢ ص ١٢٠

أولا : ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يستغفر الله كثيرا ،وذلك في حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ".(١)

فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ،وهو مع ذلك يستغفر الله تعالى ،وما الغفران الا طلب المغفرة . مع انه صلى الله عليه وسلم مغفور له مطلقا ، فعلى هذا يمكن ان يكون مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء للصبى ، التهويل والتخويف من عذاب القبر حتى اشفق عليه الصلاة والسلام على الأطفال من هذا العذاب ، بحكم مجاورتهم لمن يعذبون .

وخلاصة القول : ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد التهويل والتخويف من عذاب القبر لدرجة انه دعا للاطفال بالوقايه منه ، وان لم يكونوا عرضة لهذا العذاب . ويحتمل ان يكون كما ذهب اليه شارح الموطأ من أن ذلك على العادة فى الصلاة على الكبير .

وأما الحديث الثانى فهو قد أراد التهويل ايضا — حديث انس بن مالك — وعموما فقد أجاب ابن القيم جوابا شاملا حيث قال ماحاصله ان مافى القبر من الهموم والحسرات والآلام ، ما قد يسرى اثره الى الطفل بحكم المجاورة ، فربما يتوهم انه يناله شيئ من هذا العذاب.

وأما حديث الغلام اليهودى الذى اسلم ، فليس فى الحديث المذكور دلالة صريحة على أن ذلك الغلام لم يبلغ سن التكليف ، فهو والحالة هذه لايمكن ان يعتبر دليلا على سؤال الطفل وكذلك فان قوله تعالى :" يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء "(٢) ، يدل على ان هذا التثبيت للمستحق انما يكون بعد الايمان

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص١٠١ باب استغفار النبى صلى الله عليه وسلم.
(٢) ابراهيم : ٢٧

الذى حصل منه قبل الموت ، والاضلال للمستحق انما يكون كذلك بعد أعراضه عن الايمان قبل موته ،وهذه الأحوال لايمكن للأطفال أن يتصفوا بها ويعتقدوا بها قبل بلوغهم ، والله اعلم.

======

الأقوال فى سؤال الانبياء :

اختلف فى سؤال الانبياء على قولين :-

الأول : انهم يسألون كغيرهم ومن هؤلاء ابن عبدالبر ، وقال بأن الآثار تدل على أن الفتنة لمن كان منسوبا الى اهل القبلة وادلتهم على ذلك :-

قوله تعالى :" فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين "(١).

وقوله تعالى :" فوربك لنسألنهم أجمعين "(٢).

الثانى : انهم لايسألون ، وقد ذهب صاحب الجوهرة الى مثل ذلك ، وقال : ومن باب أولى عدم سؤال سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم (٣).

ونحن نقول : لانستطيع الجزم بسؤالهم صلوات الله وسلامه عليهم ، وذلك لعدم وجود الدليل على ذلك ، وأما ما استدل به اصحاب القول الأول فليس صحيحا فى اثبات السؤال فى القبر ،لأن السؤال الذى تقرره الآيات انما يكون يوم القيامة وليس فى القبر . والله أعلم.

---

(١) الاعراف : ٦

(٢) الحجر : ٩٢

(٣) الفتح الربانى جـ ٨ ص ٨٥ ، وانظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧

ماينجي من فتنة القبر :

ذهب جماعة الى أن الشهيد والمطعون والمرابط لايفتنون في قبورهم، ومن هؤلاء البيهقي والترمذي والحافظ بن حجر ، والبقاعي والقرطبي ، وقد استدلوا بالاحاديث الآتية (١) :-

الأول : حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا ، انها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ، فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله عز وجل على من يشاء ، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع الطاعون فيه ، فيمكث في بلده صابرا محتسبا ، يعلم انه لن يصيبه الا ماكتب الله عز وجل له ، الا كان له مثل أجر الشهيد" (٢).

الثاني : حديث قيس الجذامي (٣) رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويزوّج من الحور العين ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلّى حلّة الايمان" (٤).

الحديث الثالث: عن رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله مابال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد ؟ قال : " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" (٥).

---

(١) عذاب القبر للبيهقي ص ٢٨ ، ٢٩ ، التذكرة للقرطبي ص ١٧٠ ، والنكت والفوائد على شرح العقائد للبقاعي ص ٧٨ ، وسنن النسائي ج ٤ ص ٩٩ جنائز .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٢ كتاب الطب.

(٣) قيس بن زيد الجذامي ، ويقال له قيس الأغر ، له صحبة سكن الشام/ الاصابة ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٤) رواه احمد أنظر الفتح الرباني ج ١٤ ص ٣٠ ، وعذاب القبر للبيهقي ص ٢٩ وسنده جيد .

(٥) سنن النسائي ج ٤ ص ٩٩ باب الشهيد .

الحديث الرابع: عن فضالة بن عبيد (١) رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمو له الى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر" (٢).

الحديث الخامس : عن سلمان الفارسي (٣) رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه فان مات جرى عليه الرباط ويؤمن من الفتان ، ويقطع له رزق في الجنة" (٤).

الحديث السادس : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : من مات مرابطا وقى فتنة القبر ، وأمن من الفزع الأكبر وغدى عليه وريح برزقه من الجنة ، وكتب له أجر المرابط يوم القيامة" (٥).

الحديث السابع: عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: " المبطون شهيد ، والمطعون شهيد" (٦).

---

(١) فضالة بن عبيد الأنصارى الأوسى ، اسلم قديما ولم يشهد بدرا وشهد مابعدها ، وشهد فتح مصر والشام ، ثم سكن الشام وولاه معاوية قضاء دمشق ومات فى خلافته سنة ٥٣ هـ الاصابه جـ ٣ ص ٢٠٦

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح جـ ٥ ص ٢٤٩ ، ورواه احمد انظر الفتح الربانى جـ ١٤ ص ١١.

(٣) سلمان الفارسى صحابى جليل ، سمع بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فى طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة ثم اسلم بعد ذلك وكان أول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد ، وولى على المدائن ، وكان عالما زاهدا ، مات سنة ثلاث وثلاثين / الاصابه جـ ٢ ص ٦٢ .

(٤) مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٦١ باب فضل المرابط

(٥) رواه احمد وفيه ابن لهيعة ويعضده حديث سلمان الذى قبله ورواه ابن ماجه من طريق آخر / الفتح الربانى جـ ١٤ ص ١٠

(٦) فتح البارى جـ ١٠ ص ١٨٠ كتاب الطب.

الحديث الثامن: عن جابر بن عتيك (١) رضى الله عنه وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد ، والغرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذى تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيده (٢)"

الحديث التاسع: ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "القتيل فى سبيل الله شهيد ، والمطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد (٣)".

وقال القسطلانى (٤): وقد صح أن المرابط فى سبيل الله لايفتتن كما فى حديث مسلم وغيره ، كشهيد المعركه والصابر فى الطاعون الذى لايخرج من البلد الذى يقع فيه قاصدا باقامته ثواب الله ، راجيا صدق موعوده ، عارفا ان وقع عليه فهو بتقدير الله ، وان صرف عنه فبتقديره تعالى ، غير متضجر به لو وقع ، معتمدا على ربه فى الحالتين لحديث عائشة مرفوعا: " فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لايصيبه الا ما قد كتب الله له ، الا كان له مثل أجر الشهيد .

ووجه الدليل ان الصابر فى الطاعون المتصف بالصفات المذكورة ، مرابط فى سبيل الله ، وقد صح أن المرابط لايفتتن ومن مات بالطاعون فهو أولى (٥).

---

(١) جابر بن عتيك الانصارى له صحبة ، شهد بدرا والمشاهد بعدها وقد اختلف فى اسمه ، وتوفى سنة احدى وستين وكانت معه راية بنى معاويه عام الفتح / الاصابة جـ ١ ص ٢٢٣.

(٢) رواه ابو داود عون المعبود جـ ٨ ص ٣٧٨ جنائز ، وابن ماجه جـ ٢ ص ٩٣٧ رقم ٢٨٠٣ ، ٢٨٠٤ ، والنسائى جـ ٤ ص ١٤ جنائز ، وقال عنه النووى: هو صحيح بلا خلاف الفتح الربانى جـ ١٤ ص ٣٩ والجمع : ما يجمع فى بطنها وهو الجنين.

(٣) رواه احمد جـ ٢ ص ٥٢٢

(٤) احمد بن محمد بن ابى بكر القسطلانى: المصرى ، من علماء الحديث ، ولد بالقاهرة سنة ٨٥١ هـ ، ونشأ بها وحفظ القرآن بها وطلب العلم من المشايخ فى مختلف الفنون ثم ارتحل الى مكة المكرمة وجاور فيها مرتين وكان خطيبا

وقد عقد البيهقى فى كتابه عذاب القبر بابا فى أمان الشهيد والمبطون والمرابط والمطعون من عذاب القبر (١)، وذكر الأحاديث الوارده فى ذلك .

وقد ذهب القرطبى الى أن الشهداء لايفتنون ولا يسألون ،لأنه ورد فى الحديث الصحيح انهم لا يفتنون ،لأن بارقة السيوف قد كفتهم ،ولأن المراد الاختبار وقد شوهد ثباتهم فى تلك الحالة ،اذ لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق ، لكان قد لاذ بالفرار والروغان عند ذلك ، ومن شأن المسلم البذل والتسليم لله نفسا ، فهذا أى الشهيد قد ظهر صدق مافى ضميره حيث برز للحروب والقتل (٢).

ويتضح لنا بعد ذكر هذه الأحاديث التى أوردناها فى حق هؤلاء المذكورين أنهم لايفتنون ويأمنون من فتنة وعذاب القبر ، واما ماذهب اليه القرطبى من أن أمن الفتنة خاص بالشهيد فيرده الأحاديث التى أشرنا اليها سابقا .

والله اعلم . "

= واعظا مات سنة ٩٢٣ هـ / البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ١٠٢

(٥) ارشاد السارى للقسطلانى جـ ٣ ص ٥٦٣ .

(١) كتاب عذاب القبر للبيهقى ص ٢٩

(٢) التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة للقرطبى ص ١٧٠

(الباب الثالث)

الفصل الأول : نوع العذاب والنعيم في القبر .

الفصل الثاني : أسباب عذاب القبر ونعيمه .

الفصل الثالث : دوام العذاب والنعيم أو انقطاعه .

الفصل الرابع : عود الروح الى البدن في القبر .

الفصل الخامس : الأقوال في الروح .

===

(الفصـــل الأول)

نوع النعيم والعذاب فى القبـــــر

ذكر الغزالى ان للقبر ثلاثة أنواع من العذاب هى :-

الأول : حرقة فرقة المشتهيات : فصورته المستعارة من عالم الحس والتخييل ، هى ذلك التنين الذى وصف الشرع عدد رؤوسه ، وهى بعدد الشهـــوات، تلدغ فى صميم الفؤاد لدغا مؤلما ، على أن هذا اللدغ كان حاصلا لهـذا الانسان فى الحياة الدنيا ، غير أنه لايحس به ،وكلما كان الانسان مالكا لأمـــور الدنيا ، غارقا فى أحوالها ، كان عدد رؤوس التنين الذى يلدغه عند موتــــه أكثر ، وكلما كان الانسان متخليا عن أمور الدنيا معرضا عنها ، كان عـــــدد رؤوس هذا التنين بالنسبة اليه قليلا .

الثانى : خزى خجلة المفضحات ؛ ان الانسان الذى اقترف السيئات فـــى حياته الدنيا غير متأثر بها ، أو مكترث بنتائجها ؛ فانه بعد الموت يحترق قلبـه حزنا يوم القيامة وخجلا ،وما كان يعتقد حسنه قبل الموت ، يراه أكثــــر قبحا وقذارة بعد الموت ، فيحس بالخزى والخجل من حبه له ، وتمسكـــه به بعد ظهور حقيقته ، وضرب امثلة على ذلك ، منها : أن الانسان المتقلب فى أنواع شتى من النعيم فى حمى ملك من الملوك ، يعتدى على حرمـــــه وينتهك أعراضـــه ، ظنا منه ان الملك لم يكن على علم بهذه الأعمال التى كـــان يعملها ، فيحس بالخزى العظيم والفضيحة الهائلة تجاه ذلك عندمـــــا يعلم أن الملك كان يراقب جميع أعمالـه.

الثالث : حرقه فوت المحبوبات : فالانسان متقلب فى شتى انواع الملذات ، وهى محببة الى قلبـه ، وهوعندما يفوته شيئ من هذه الأمور التى كان يظن أنـــه لاقيمة لها ،ثم يتبين له بعد ذلك اهميتها ، فيزداد حسرة وألما على فوتهـا ، فيقول عند ذلك : ياحسرتا على ما فرطت ، وهكذا كلما تبين له أمر من الأمــــور

المحببة الى نفسه ، المهمة اليها ، يتألم لعدم حصوله عليها ، ويشتد عليه الألم وتعظم عليه المصيبة حين يترك هذه المحبوبات ، ويفارقها بالموت، فتتحول الى غيره بعد أن كان المتصرف بها دون غيره . أ . هـ ملخصا .(١)

ونحن نقول : ان أحوال القبر من الأمور الغيبية التى لا يعتمد فيها الا على السمع ، واذا أردنا أن نتحدث عن نوع العذاب أو النعيم فى القبر، فيجب علينا أولا : أن نتثبت من صحة السند ،وثانيا : أن نحمله على ظاهره دون تأويل .

فالغزالى اعتمد فى النوع الأول على ما ورد فى السمع من أن هناك تنّينا ، ولكنه لم يحمل هذا السمع على ظاهره ، بل تأوله بألم ما ارتكبه من المعاصى وما فيها من سخف .

ونلاحظ عليه :

أولا : أن الحديث الذى استند عليه فى وجود التنين غير صحيح ، فانه روى من طريق دراج عن أبى الهيثم وهو ضعيف ، وروى الحديث كذلك من طريق آخر ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف أيضا ،(٢) وبالتالى فانه لا يصلح الاحتجاج به.

ثانيا : وعلى فرض صحة ذلك فان الواجب حمله على ظاهره دون تأويل .

وأما النوع الثانى من أنواع عذاب القبر الذى ذهب اليه الغزالى ، فمن الجائز حصول هذا العذاب ، لكن لا يصح اثباته بدون نقل صحيح ،ولم يأت الغزالى بهذا النقل .

وأما النوع الثالث من العذاب ، فمن الجائز أيضا حصوله ، لكن لا يصح بدون

---

(١) انظر كتاب الأربعين للغزالى ص ٩٣ - ٩٥

(٢) انظر الفتح الربانى جـ ٨ ص ١١٦ - ١٣٧

دليل كذلك. وبالجملة فقد حصر الغزالى عذاب القبر فى هذه الأنواع الثلاثة ، وغير خاف عليك أنها كلها من قبيل العذاب الروحى ، ونحن لاننكر مثل هذا اذا صح النقل فيه ، لكن قصر العذاب على الروح غير صحيح ، فمذهب السلف أن عذاب القبر مادى مع تجويز العذاب الروحى ، وعلى هذا فان ما ذهب اليه الغزالى لايصح ، اللهم الا اذا كان غرضه بيان انواع العذاب الروحى مع الاعتقاد بأن وراء ذلك عذابا ماديا .

وبعد فقد بين القرآن الكريم أنواعا من النعيم وألوانا من العذاب فمنها :-

الأول : حياة الشهداء وما فيها من نعيم مقيم ورزق وسرور واستبشار ، حيث قال الله تعالى :- " ولاتحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ... الآية " (١) .

فقد بين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمه ، نوعا من أنواع النعيم وهو الفرح والسرور والاستبشار وأما الرزق فقد جاء حكمه عامّا .

الثانى : الاحراق بالنار والعرض عليها حتى تقوم الساعة ، وذلك فى قوله تعالى :- " وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب " (٢) . وكذلك قوله تعالى : " مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا " (٣) . فهذه الآيات قد بينت نوعا من العذاب وهو الاحراق بالنار .

وأما السنة : فقد بينت كذلك هذه الألوان من النعيم والعذاب فى الحياة القبرية ، وفيها ان الميت يرى مقعده منا لجنة ان كان من أهل الجنة ، أو النار ان كان من أهل النار ، واتساع القبر وانارته ، وفرشه من الجنة ، وتنعيم

---

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠
(٢) المؤمن : ٤٥ ، ٤٦
(٣) نوح : ٢٥

صاحبه المؤمن فيه الى يوم القيامة ، وضيق القبر واختلاف أضلاع صاحبه الكافر فيه ، وضربه بمطارق من حديد ، وصياحه من ذلك الضرب ، وهول مطلع الملكين عليه ، وفرش قبره من النار ، واتيانه من حرّها وسمومها وما الى ذلك من صنوف العذاب الى يوم القيامة .(١)

هذا وقد ثبت من بعض الآيات والأحاديث السابقة ألوان من النعيم أو العذاب لمن يستحق ذلك جزاء وفاقا على ما قدموا من خير أو شر ، كفر أو ايمان ، طاعة أو معصية ، هذا النعيم وذاك العذاب ، قد حجبه الله عن ادراك الناس ، كما بيّنا سابقا ، رحمة بالبشر واستقامة للتكليف ، فليس لأحد أن يحدد هذه الأمور الغيبية ، ويؤولها تأويلا لم يقم عليه دليل ، مدّعيا أنه توصّل اليها بالمكاشفة (٢) وما الى ذلك من الأمور التى لا يتحدث عنها ولا يكشفها الا كتاب أو سنة . والله أعلم .

---

(١) أنظر الأحاديث الواردة فى نعيم القبر وعذابه من ص ٤٤ - ٦٠
(٢) هذا ادّعاء الغزالى فى كتابه الأربعين ص ٩١ .

(الفصل الثانى)

أسباب عذاب القبر ونعيمه

أسباب النعيم عموما الايمان والطاعة ، وأسباب العذاب الكفر والمعاصى ، الا ان بعض المعاصى قد يغفرها الله تعالى لبعض الناس ،فلا يعذبهم بها فى القبر ، لكن رغم هذا فقد أوردت بعض النصوص من الكتاب والسنة بعضا من هذه الأسباب ، من ذلك ما ذكره البيهقى (١) :

أولا : عذاب القبر من البول والنميمة ، وذلك كما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : " انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، ثم قال : بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بين الناس بالنميمة ، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله ... الحديث " متفق عليه (٢).

ثانيا : عذاب القبر من النياحة على الميت ، وذلك فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " وفى رواية اخرى : " ان الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه " . وقد قيد بعض العلماء هذا العذاب بوصية الميت لأهله ، كما كانت تفعل العرب فى الجاهلية (٣) .

ثالثا : عذاب القبر من الغلول : حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا ولا فضة ، انما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى القرى ، ومعه عبد له يقال له مدعم أهداه له أحد بنى الضّباب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى

---

(١) كتاب عذاب القبر للبيهقى ص ٤٩ - ٥٢
(٢) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٤٢ كتاب الجنائز ،ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٢
(٣) فتح البارى جـ ٣ ص ١٥٣ ، ١٥٤

الله عليه وسلم ، اذ جاءه سهم عائر ، حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئا له الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى والذى نفسى بيده ، ان الشملة التى أصابها يوم خيبر من المغانم ، لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا . فجاء - رجل حين سمع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم - بشراك أو بشراكين ، فقال : هذا شيئ كنت أصبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شراك أو شراكان من نار" (١)

ويرى ابن القيم : انهم يعذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعاصيه ، فلا يعذب الله روحا عرفته واحبته وامتثلت لأوامره واجتنبت نواهيه ، ولابدنا كانت فيه أبدا ، فان عذاب القبر وعذاب الآخرة ، أثر سخط الله وغضبه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ، ثم لم يتب ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ، فمستقّل ومستكثر ومصدّق ومكذب . (٢)

ويتضح لنا بعد ذلك ان هذه الأسباب التى ذكرها البيهقى ، ليست هى جميع اسباب عذاب القبر ، فان أسباب عذاب القبر اكثر من ذلك بكثير ، فمعصية الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، هى جماع الأسباب كلها .

---

(١) فتح البارى جـ ٧ ص ٤٨٧ كتاب المغازى . وعائر : غير معروف المصدر
(٢) الروح لابن القيم ص ٧٧

(الفصل الثالث)

دوام النعيم والعذاب أو انقطاعه

هل عذاب القبر دائم أو منقطع ؟

أجاب ابن القيم بأن عذاب القبر من حيث الدوام والانقطاع نوعان :

الأول : نوع دائم . ودليل ذلك قوله تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " (١) .

وحديث سمرة بن جندب رضى الله عنه (٢) ، وفيه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة (٣) .

وحديث عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فى قصة الجريدتين : لعلّه يخفّف عنهما مالم ييبسا (٤) ، فجعل التخفيف مقيدا برطوبتهما فقط .

وحديث البراء بن عازب رضى الله عنه فى قصة الكافر : ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة (٥) " .

الثانى : الى مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفّت جرائمهم ، فيعذّب بحسب جرمه ، ثم يخفّف عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار ،

---

(١) المؤمن : ٤٦

(٢) سمرة بن جندب الفزارى كان من حلفاء الأنصار ، استصغره الرسول صلى الله عليه وسلم للجهاد فى سبيل الله ثم قبله لمّا رأى قوته وصلابة عوده ، نزل بالبصرة وعرف بشدته على الخوارج ومات رضى الله عنه اثر سقوطه فى قدر مملوء بالماء الحار ، وكان ذلك سنة تسع وخمسين للهجرة/ الاصابه جـ ٢ ص ٧٩ .

(٣) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٣٨ كتاب التعبير .

(٤) الحديث متفق عليه أنظر فتح البارى جـ ٣ ص ٢٤٢ كتاب الجنائز ، ومسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٢

(٥) انظر كتاب الروح لابن القيم ص ٧٧

أو ثواب حج ، أو قراءة تصل اليه من بعض اقاربه أو غيرهم . أ . هـ (١)

هذا ما ذكره ابن القيم ويتضح لنا فيه مايلى :-

أولا : انه ذكر ضمن الاستدلال على دعوى دوام عذاب القبر حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، المتقدم فى قصة الجريدتين ، وهذا الدليل لا يدل على دوام العذاب.

ثانيا : انه لم يتعرض لحال النعيم هل هو دائم أو منقطع ، أم ماذا ؟ وكنا نرقب منه بيان ذلك ، لأنه اذا بين حال العذاب ، فلابد أن يمر بخاطره حال النعيم ، فكيف سكت عن بيان حال النعيم ؟

ثالثا : انه جزم بانقطاع بعض العذاب وهى الفقره الاخيره من مقالته ، لكنه لم يذكر سندا لذلك ، لا من الكتاب ولا من السنة . ثم ذكر اسبابا للانقطاع كالدعاء والاستغفار وما الى ذلك ، لكنه لم يذكر سندا بصحة هذه السببية !!

ونحن اذ نتحدث عن دوام النعيم أو انقطاعه ، نجد فى كتب السنة من الأحاديث ما يدل على دوام هذا النعيم منها :-

حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة " (٢)

أما انقطاع النعيم ، فلا نجد فى الكتاب والسنة فيما نعلم ما يشهد بانقطاع النعيم ، والظاهر أنه لاينقطع كما ينقطع العذاب ، لأن موجبه وهو الايمان والطاعات ثابت ، فكما ان الكفر اقتضى العذاب الدائم ، فكذلك الايمان يقتضى النعيم الدائم ، فنقول والله اعلم أن نعيم المؤمن لا ينقطع.

---

(١) المصدر السابق ص ٧٧

(٢) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٣١ كتاب الجنائز ، مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٠٠

وخلاصة القول : ان الله تعالى اخبرنا عن الوان من النعيم والعذاب الدائم، وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الوانا أخرى من العذاب المنقطع ،الى غير ذلك من هذه الأمور ، فهى من العلم الذى استأثر به الخالق سبحانه وجعله ضمن مشيئته حيث قال جلّ وعلا " فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيئ قدير " (١) . فمن شاء الله تعالى دوام تعذيبه عذبه ،ومن شاء الله تعالى تعذيبه الى مدة ثم يرفع عنه العذاب كتب له ذلك . والله أعلم.

(١) البقرة آية : ٢٨٤

(الفصل الرابع)

هل تعود الروح الى الميت فى قبره أم لا ؟

جرى بعض علماء العقائد على أن يذيلوا مباحث الحياة القبرية بخاتمة تناولوا بها هذا البحث : هل الحياة القبرية تقتضى عودة الروح ؟ فاذا أثبتنا حياة فى القبر لزم أن تعود الروح الى الميت ،أولا تقتضى هذا ، فلايجب أن تعود الروح الى من احيى فى قبره.

قال صاحب المقاصد : ان الحياة التى تقتضى عودة الروح الى الحى انما هى الحياة الكاملة المعهودة كحياتنا فى الدنيا ، أما الحياة غير المعهودة كالحياة التى اثبتها الشرع للأموات فى القبور ، فهى حياة محدودة بالشعور بالنعيم أو العذاب ، فلا تقتضى عودة الروح (١) .

وقال ابن القيم : ان عرض مقعد الميت عليه من أهل الجنة والنار ،لايدل على أن الروح فى القبر ، ولا على فنائه دائما من جميع الوجوه ، بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه ، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده ، فان للروح شأنا آخر ، تكون فى الرفيق الأعلى ولها اتصال بالبدن ، بحيث اذا سلّم المسلم على الميت رد الله عليه روحه ، فيرد عليه السلام وهى فى الملأ الأعلى ، وانما يغلط أكثر الناس فى هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التى اذا شغلت مكانا ، لم يمكن أن تكون فى غيره ، وهذا غلط محض ، فهذه روحه صلى الله عليه وسلم ، تكون فى الرفيق الأعلى دائما ، ويردها سبحانه وتعالى الى القبر لترد السلام على من سلم (٢) .

ونحن نقول : ان الله سبحانه وتعالى قد سوّى بين النائم والميت فى امساك روحيهما فى قوله تعالى : " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى " (٣) .

---

(١) شرح المقاصد للتفتازانى ملخصا جـ ٢ ص ٢٢٢
(٢) الروح لابن القيم ص ١٠١
(٣) الزمر : ٤٢

وهـذا قطع للروح عن البدن ، لأن توفية روح الميت قطع روحه وفصلها عن بدنه ، فاذا ما قرن الميت بالنائم فى هذا الحكم وهذه التوفية ، فقد قطع علاقة روح النائم عنه.

ثم ان النائم فيه حياة قطعا للفرق بينه وبين الميت ، لكن مع هذا هى حياة محدودة ليست كحياة المستيقظ .

اذا نستطيع أن نقول من جميع ما سبق الى أن الحياة الناقصة كحياة النائم ، لا تتوقف على عودة الروح ، لأن الله تعالى يقول : " الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ... الآية" ، وان الميت فى قبره رغم أنه ميت ، وقد ثبت بالكتاب والسنة أن فيه حياة قدر ما يتنعم ويتألم ، لكن رغم ذلك فهى حياة محدودة كالنائم ، اذن فلا يجب عودة الروح الى هذه الحياة كما هو المعهود ، وقد صح بهذا ما ذهب اليه صاحب المقاصد من أن الحياة المحدودة لا يجب أن تعاد الروح اليها .

وخلاصة القول : ان الحياة القبرية حياة محدودة ، وقد جرى الخلاف فى انه هل تعود الروح اليها ام لا ؟ ونحن نقول : انه لا يجب عود الروح الى الحياة المحدودة وسندنا فى هذا قوله تعالى : " الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ... الآية " .

ان النائم حى قطعا والله قد سوّى بينه وبين الميت فى انه يتوفى نفسيهما ، وقد فرق الله بينهما بأن من قضى عليه الموت لا يرسل روحه اليه ، أما من لم يقضى عليه الموت ، كالنائم يرسل روحه اليه . فالآية بهذه المعانى الواضحة تبين بأن النائم لم تكن روحه متصلة به ، بل قد توفاها الله ، فاذا لم يقض عليه بالموت يرسلها اليه دون من قضى عليه بالموت ، فتوفى روح النائم ثم ارسالها اليه يؤكد بأنها كانت منقطعة عنه ، اذا كان الأمر كذلك فى النائم ، فالحياة القبرية فى حدودها الضيقة وهى الشعور بالعذاب أو النعيم لا تقتضى عودة الروح اليها ، وأما ما ورد من عودة الروح بعد الموت ، فهذا لا ينافى

ما حققناه ، لأن ما حققناه هو عدم وجوب عودة الروح ، وعدم وجوب العودة لا ينافى العودة فى الواقع ، بل الذى ينافيه امتناع عودة الروح . والله اعلم .

(الفصل الخامس)

الأقوال فى الروح

لم يفت العلماء السابقين البحث فى موضوع الروح ، وقد انحصر البحث فيها فى رأيين :

الرأى الأول : انها من قبيل الماديات ، غاية الأمر أنها مادة شفافة أرق من الهواء ، بل هى أرق من الأثير ، تسرى فى البدن سريان الماء فى العود الأخضر ، ومن بين اصحاب هذا الرأى امام الحرمين (١) ، محتجين بأنها لو كانت مجردة عن المادة لشاركت الله تعالى .

الثانى : أنها مجردة عن المادة لأنها تتصف بصفات لاتتصف بها المادة كالارادة والحب والبغض والعلم والايمان ، وكل هذه الخواص لايعقل أن تكون للمادة أصلا ، بسيطة كانت أو مركبة ، انما هى خواص لما ليس مادّى ، ويكاد يكون هذا الرأى هو الأقرب للصواب (٣) .

وبعد فقد يعترض معترض بقوله : كيف يجرى هذا البحث بين العلماء ولاسيما علماء الاسلام وقد حسم الله تعالى فى كتابه البحث فى الروح فقال :

" ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا " (٢) ؟

قلنا : ان ما جرى فيها من البحث لم يهدف الى بيان حقيقتها ، بل ذلك من أمر الله تعالى ، وانما جرى البحث فى اوصافها ، ومن أى جنس من الاجناس هى ؟ فغاية الباحثين انما هى التعرف عليها اجمالا ، أما ما أشارت اليه الآية من تعذر معرفتها ، فانما هو خاص بحقيقتها والا فكلنا يعلم عن الروح معنى اجماليا ، فهى المسخرة لكيانه واعضائه ، بل لها السلطان الأعلى فى تصريف شئون الشخص .

---

(١) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف محمد الجوينى ، أبو المعالى ، الملقب بامام الحرمين ، لأنه جاور فى مكة المكرمه والمدينة المنورة اربع سنين يدرس ويفتى ، اعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، ولد فى جوين من نواحى نيسابور سنة ٤١٩ ، ورحل الى بغداد وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية ، له مصنفات منها : العقيدة النظامية ، والارشاد فى اصول الدين ، ومغيث الخلق فى الاصول ، توفى سنة ٤٧٨ هـ / وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٣ ص ١٦٧

(٢) الاسراء - ٨٥

(٣) انظر شرح جوهرة التوحيد ص ٧١ ، والمواقف ص ٢٤٧ ، وكتاب [illegible] ص ١٧٩

وبعد فان هذه خلاصة موجزة عن الأقوال فى الروح دون تفصيل ، فليس هذا الموضوع موضوعنا ، انما أردنا أن نعطى صورة موجزة تتحدث عن هذا البحث فى استقامة وصواب ، فنحن لانستطيع أن نتجاوز حدودنا فى البحث وراء موضوع استأثر الله تعالى بعلمه ، فأدبنا معه سبحانه وتعالى يلزمنا بالوقوف عند قوله : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا " !

(الخاتمة)

لقد تناولنا فى هذا البحث أقوال العلماء فى الحياة القبرية ، وانهم ذهبوا الى ثلاثة أقوال هى :-

المثبتون للحياة القبرية ، وأن النعيم والعذاب فيها واقع على الجسد والروح .

النافون للحياة القبرية جملة وتفصيلا .

المثبتون للحياة القبرية وان النعيم والعذاب فيها واقع على الروح فقط .

وذكرنا ما استدل به اصحاب هذه الأقوال على ما ذهبوا اليه ، ثم ناقشنا هذه الأدلة وما جرى عليها من اعتراضات للخصوم ، وتبين لنا بعد ذلك أن عذاب القبر ونعيمه حق ، والايمان به واجب ، وأن النعيم والعذاب فى البرزخ واقع على الروح والجسد معا ، وهو ما ذهب اليه اهل السنة ، واثبتوه بأدلة من الكتاب والسنة بما لا مجال بعده لانكار منكر .

وأما من ذهب الى انكار حياة البرزخ جملة وتفصيلاً ، فقد ناقشنا الأدلة التى أوردوها ، وتبين لنا بعد ذلك زيفها وبطلانها ، خاصة وأنهم أنكروا أمرا معلوما من الدين ثابتا بالكتاب والسنة ، وبينا كذلك الأسباب التى دفعتهم الى القول بهذا الرأى ، ومن بينها أنهم طبقوا ما يجرى فى الحياة الدنيا على الحياة القبرية وأحكامها ، وناقشنا هذه الشبهة ، مناقشة علمية بعيدة عن التعصب ، اثبتنا فيها أن ما يجرى فى الحياة القبرية فيه ما يكون حسيا ، ولكن الله تعالى عطل حواس البشر فى هذه الحياة عن ادراك مثل هذه الأمور ، الا بعض انبيائه بدليل ثبوت سماع النبى صلى الله عليه وسلم لها واضطراب دابته صلى الله عليه وسلم عند سماعها لعذاب القبر ، وابطلنا ما ذهبوا اليه من ان الاحاديث الواردة فى عذاب القبر ونعيمه آحاد ، واثبتنا أن هذه الأحاديث لكثرتها وكثرة طرقها قد بلغت حد التواتر المعنوى ، وبذلك تكون حجة فى ثبوت هذا النعيم والعذاب فى القبر .

وأما من ذهب الى أن العذاب والنعيم فى البرزخ واقع على الروح فقط ، وأن الجسد لا حظ له من ذلك ، فقد بينا بطلان هذا الرأى ، واثبتنا أنه مخالف لما جاء فى الكتاب والسنة ، من وقوع النعيم والعذاب على الروح والجسد ، وبينا كذلك أن من ذهب الى هذا الرأى انما ظن أن القائلين بتنعيم الأجساد أو تعذيبها ، انهم يثبتون لها حياة كالحياة المعهودة ، ولكن القوم لم يذهبوا الى ذلك ، انما اثبتوا أن للجسد عذابا ونعيما فى الحياة البرزخية ، وأن شئون هذه الحياة ليست كشئون الحياة المعهودة فى الدنيا .

وكذلك فقد بينا تصوير المثبتين للحياة القبرية من المعتزلة ، وذلك على لسان عالمهم المشهور القاضى عبدالجبار ، وتبين لنا من خلال ذلك أن لهؤلاء مسلكا خاصا يختلف عن مسلك أهل السنة فى اثبات الحياة القبرية ، وانهم متناقضون مع أنفسهم فى آن واحد ، فقد أثبتوا وقوع عذاب القبر فى أول كلامهم عنه ، ثم ترددوا فى زمانه ووقته فى نهاية الكلام نفسه . وما هذا الاضطراب الا دليل على انكارهم لما أثبتوه أولا ، ولقد عقدنا موازنة بين تقرير الأدلة عندهم وعند أهل السنة ، فتبين لنا دقة أهل السنة فى تقريرهم لما يستدلون به على اثبات هذه الحياة ، وكيف أن أهل السنة قد دفعوا كل اعتراض حول هذه الأدلة ، وبيان وجه الدلالة فيها ، على حين أن المعتزلة لم يصنعوا مثل ذلك .

ثم قارنا بين عدد الأدلة عند الفريقين ، فوجدنا أن أهل السنة قد أفاضوا فى ذكر الأدلة من الكتاب والسنة عن الحياة البرزخية تحقيقا للموقف ، وتثبيتا للاعتقاد فى مثل هذه الأمور الغيبية التى وردت النصوص الصحيحة الصريحة بها ، هذا واننا لم نجد فى كتب العقيدة فيما نعلم ، من تناول هذا التصوير عند المعتزلة ، موازنة ومقارنة أو مناقشة لهذا التصوير ، بل اكتفى اصحاب هذه الكتب بذكر المنكرين منهم للحياة البرزخية ، فسكتوا عن الباقين ، فظن كثير من الباحثين ان هؤلاء المثبتين من المعتزلة انما هم يسلكون فى ذلك

نفس مسلك أهل السنة والواقع غير ذلك كما بينا .

ثم تناولنا في الباب الثاني سؤال منكر ونكير للميت في قبره ، فأثبتنا وقوع هذا السؤال بالأدلة الصحيحة الصريحة ، وأبطلنا شبهة المنكرين لذلك ، وبينا كذلك سبب تسميتهما ووصفهما وموضوع سؤالهما للميت كما أوردتها الأحاديث.

ثم بينا كذلك نتيجة سؤال الملكين للميت وكيف أن نتيجة المؤمن نعيم وأمن وثبات ، وأن نتيجة الكافر والمنافق عذاب واضطراب وضلال .

وبينا كذلك الأمور التي تنجى من عذاب القبر ، ومن الذين يسألون في القبر ، وفيما يتعلق بسؤال الأطفال رجحنا رأى من ذهب الى عدم سؤالهم لأسباب ذكرناها هناك.

وأما الباب الثالث فقد ذكرنا فيه اقوال العلماء في انواع العذاب والنعيم في القبر ، وأسباب هذا النعيم والعذاب ، وناقشنا ماذهبوا اليه من أدلة على ذلك ثم بينا أقوالهم كذلك في دوام عذاب القبر ونعيمه ، واقوالهم في عود الروح الى الجسد بعد الموت ، ثم أنهينا البحث ببيان خلاصة الآراء في الروح تتميما للبحث.

وانى وأنا أختم هذا البحث المتواضع ، لا أستطيع أن أعطى نفسى حق الزعم أننى أتيت بما عجز عنه الأوائل ، وأننى قد بلغت في موضوعى مرتبة الكمال ، فكم من باحث يكتب بحثا اليوم ثم يراجعه غدا فاذا فيه مافيه ، واذا هو يقول : لو أننى قدمت هذا لكان أحسن ، ولو أخرت هذا لكان يستحسن ، ولو أضفت ذاك لكان اجمل ، ولو حذفت ذلك لكان أكمل ، فغاية ما أقول أننى بذلت كل ما وسعنى من جهد ، وحسبى أننى حاولت اخراج الموضوع على أحسن ما يمكن أن يكون عليه ، فان أنا وفقت في ذلك فهو ما قصدت اليه ، وان قصّرت باعى عن ادراك الغاية فعزائى أن الكمال لله وحده وأن فوق كل ذى علم عليم.

وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين وهو حسبى ونعم الوكيل .

ثبت المراجع

١ القرآن الكريم

كتب التفسير

٢ التفسير الكبير للامام الفخر الرازي / المطبعة البهية المصرية بميدان الأزهر بمصر .

٣ الجامع لأحكام القرآن / المعروف بتفسير القرطبي / محمد بن احمد الانصاري القرطبي الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية/ الناشر دار القلم ١٣٨٦هـ.

٤ تفسير القرآن العظيم / المعروف بتفسير ابن كثير / ابو الفداء اسماعيل ابن كثير . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر / الناشر دار احياء الكتب العربية.

٥ جامع البيان عن تأويل آي القرآن / المعروف بتفسير الطبري / محمد بن جرير الطبري شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر / الطبعه الثالثة سنة ١٣٨٨هـ.

٦ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماه : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي / المكتبة الاسلاميه / ديار بكر تركيا / الناشر دار صادر بيروت.

٧ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / محمود الألوسي البغدادي ادارة الطباعة المنيرية / الناشر دار احياء التراث العربي بيروت لبنان .

٨ غرائب القرآن ورغائب الفرقان / حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوه عوض / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر / الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ.

٩ فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي محمد الشوكاني . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر / الطبعة الثالثة . سنة ١٣٨٣هـ

١٠ لباب التأويل في معاني التنزيل / المعروف بتفسير الخازن / علي بن محمد ابراهيم البغدادي الخازن / مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر/ الطبعة الثانية .

(كتب الحديث)
=========

١١ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري / احمد بن محمد القسطلاني طبعه بالأوفست عن الطبعه الاميريه ببولاق بمصر سنة ١٣٠٤هـ الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

١٢ الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني / احمد بن عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي / مطبعة الاخوان المسلمين / الطبعة الاولى سنة ١٣٥٥هـ

١٣ تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي / محمد بن عبدالرحمن المباركفوري تصحيح عبدالوهاب عبداللطيف / مطبعة المدني بالقاهرة / الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ / الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٤ سلسلة الأحاديث الصحيحه / محمد ناصر الدين الألباني / منشورات المكتب الاسلامي الطبعة الاولى ببيروت سنة ١٣٨٨هـ.

١٥ سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث بن اسحاق الازدي / تعليق الشيخ احمد سعد علي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر / الطبعه الاولى .

١٦ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي / مراجعة حسن محمد المسعودي . المطبعة المصرية بالأزهر / الناشر المكتبة التجاريه الكبرى بمصر .

١٧ شرح السنة / الحسين بن مسعود الفراء البغوى / تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ـ منشورات المكتب الاسلامى / الطبعة الأولى

١٨ شرح موطأ الامام مالك / محمدعبدالباقى بن يوسف الزرقانى / تحقيق ابراهيم عطوه عوض بطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر / الطبعة الاولى .

١٩ صحيح البخارى / محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى تصوير عن النسخة السلطانية التى صار الطبع عليها .

٢٠ صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيرى / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى / الناشر دار احياء التراث العربى / بيروت لبنان / الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ

٢١ فتح البارى بشرح صحيح البخارى / احمد بن على بن حجر العسقلانى تحقيق عبدالعزيز بن باز / المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر سنة ١٣٨٠هـ

٢٢ مسلم بشرح النووى / يحيى بن شرف بن مرى الحازمى المعروف بالنووى ـ المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ

٢٣ المسند / للامام عبدالله بن الزبير الحميدى / تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى / الناشر المجلس العلمى كراتشى / الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢ مطبعة لجنة نشر العلوم الاسلامية بحيدر آباد بالهند .

٢٤ مشكاة المصابيح / محمد بن عبدالله الخطيب العمرى التبريزى / تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى / منشورات المكتب الاسلامى للطباعة والنشر / الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠هـ

(كتب العقيدة)

٢٥ التذكرة فى أحوال الموتى والآخر / محمد بن احمد الانصارى القرطبى مخطوط مكتبة الحرم المكى رقم ٧٩٥ .

٢٦ احياء علوم الدين / محمد الغزالى / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت لبنان

٢٧ الروح / فى الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار واقوال العلماء - محمد بن ابى بكر الزرعى الدمشقى الشهير بابن القيم / دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٣٩٥هـ / الناشر دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة.

٢٨ أصول الدين / عبدالقاهر بن طاهر التميمى البغدادى / مطبعة استنبول سنة ١٣٤٦هـ الطبعة الأولى .

٢٩ العقائد النسفية / عمر بن محمد النسفى / مطبعة ونشر مكتبة المثنى ببغداد .

٣٠ الفصل فى الملل والأهواء والنحل / الامام محمد بن حزم الظاهرى وبهامشه كتاب الملل والنحل لعبدالكريم الشهرستانى / الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

٣١ المواقف / عبدالرحمن الايجى / تحقيق على بن محمد الجرجانى . مطبعة السعاده بجوار محافظة مصر / الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥هـ

٣٢ النكت والفوائد على شرح العقائد / ابراهيم عمر حسن الرباط البقاعى مخطوط المكتبة الازهريه رقم ١٣٦٩

٣٣ تاريخ المذاهب الاسلاميه / محمد ابو زهرة / ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى مطبعة السعاده بمصر .

٣٤ شرح الاصول الخمسة / للقاضى عبدالجبار بن احمد / تحقيق عبدالكريم عثمان - الناشر مكتبة وهبه / الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ

٣٥ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية / على بن على محمد بن أبى العز الحنفى - تحقيق احمد شاكر / المطبعة السلفية بمكة المكرمة / الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

٣٦ شرح جوهرة التوحيد / المسمى : اتحاف المريد بجوهرة التوحيد / عبدالسلام ابراهيم اللقانى المالكى ومعه كتاب النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد / محمد محيى الدين عبدالحميد - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٥هـ الطبعة الثانية.

٣٧ شرح مقاصد الطالبين في علم أصول عقائد الدين / سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني - مطبعة الحاج عبد الحميد خان البسنوي سنة ١٣٠٥

٣٨ عذاب القبر / أحمد بن الحسين بن علي البيهقي صورة عن مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة

٣٩ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة/ محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزيه اختصره محمد بن الموصلي / طبع على نفقة المطبعة السلفية ومكتبتها بمكة المكرمة - الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

٤٠ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين / علي بن اسماعيل الاشعري/ تحقيق محمد محيي الدين الخطيب
الناشر مطبعة مكتبة النهضة المصرية.

(كتب اللغة)

٤١ النهاية في غريب الحديث والأثر / المبارك بن محمد الجزري بن الاثير - تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي
الناشر دار احياء الكتب العربيه بمصر / الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣هـ

٤٢ تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي - المطبعة الخيرية بمصر / الطبعة الاولى سنة ١٣٠٦هـ
الناشر دار مكتبة الحياة بيروت لبنان

٤٣ كتاب الغريبين غريبي القرآن والحديث / احمد بن محمد الهروي تحقيق محمود محمد الطناجي / مطابع الاهرام التجارية القاهرة سنة ١٣٩٠هـ

٤٤ لسان العرب / للعلامة ابن منظور / أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمه - يوسف خياط ونديم مرعشلي / دار لسان العرب بيروت لبنان.

٤٥ معانى القرآن / يحيى بن زياد الفراء / تحقيق الأستاذ محمد على النجار / مطابع سجل العرب بالقاهرة / الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٤٦ المفردات في غريب القرآن / الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني / تحقيق محمد سيد كيلاني / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨١هـ.

(التراجم)

٤٧ الاصابه في تمييز الصحابة / احمد بن حجر العسقلاني طبعة جديدة بالأوفست عن الطبعه الاولى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨هـ / الناشر مكتبة المثنى ببغداد.

٤٨ الاعلام / خير الدين الزركلي / مطبعة كوستاتوماس وشركاه الظاهر بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ.

٤٩ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن على الشوكاني / مطبعة السعادة بمصر الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨هـ / الناشر معروف عبدالله باسندوه

٥٠ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / محمد بن عبدالرحمن السخاوى تصوير بالأوفست عن مطبوعات مكتبة القدسي - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

٥١ تاريخ بغداد / احمد على الخطيب البغدادى / تصوير بالأوفست الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان.

٥٢ تذكرة الحفاظ / للامام ابى عبدالله شمس الدين الذهبى الناشر دار احياء التراث العربى بيروت لبنان.

٥٣ تهذيب التهذيب / احمد بن حجر العسقلاني دار صادر بيروت تصوير بالأوفست عن مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٥هـ.

٥٤ ميزان الاعتدال في نقد الرجال / محمد بن احمد عثمان الذهبي / تحقيق علي محمد البجاوي / مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٥٥ وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان / احمد بن محمد خلكان دار صادر بيروت لبنان سنة ١٣٩٧هـ

(كتب أخرى)
==========

٥٦ احكام الجنائز وبدعها / محمد ناصر الدين الألباني / منشورات المكتب الاسلامي / الطبعه الاولى بيروت لبنان سنة ١٣٨٨هـ

٥٧ المحلى / محمد بن حزم الظاهري / الطبعة المنيرية الاولى / تحقيق احمد شاكر.

٥٨ المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم / عوض الله حجازي / الطبعه الرابعة - دار الطباعة المحمديه بالأزهر - القاهرة.

٥٩ دائرة المعارف الاسلامية / تعريب : محمد ثابت أفندي، احمد الشناوي، ابراهيم خورشيد وعبدالحميد يونس / انتشارات جهان ايران.

٦٠ مجموعة الفتاوى / شيخ الاسلام احمد بن تيمية / الطبعة الاولى مطبعة الرياض سنة ١٣٨١هـ

======